التَّواصُلُ وآلياتُهُ في روايةِ (كتاب الأمير.. مسالكُ أبوابِ الحديدِ)[1]

Communication and its Methods in the Novel *"The Book of the Prince..The Pathways of Iron Gates"*

أ.د. إسراء عامر شمس الدِّين السَّعدي
جامعة بغداد/ كُليَّة الآداب/ قسم اللُّغة العربيَّة
drisraa606@gmail.com

Prof.Dr. Israa Amer Shamsulddin AL-Saadi
University of Baghdad/ College of Arts/ Arabic Language Dept
drisraa606@gmail.com

مُلخَّصُ البَحثِ

البحثُ دِراسةٌ لسانيَّةٌ في آليةِ التَّواصُلِ بروايةِ (كتابُ الأميرِ..مسالكُ أبوابِ الحديدِ) للروائيِّ الجزائريِّ واسيني الأعرج، الَّذي وظَّفَ التَّاريخَ مُتمثِّلاً بسيرةِ عبد القادرِ الجزائريِّ قائدًا وإنسانًا ومثقفًا، بثَّ في فضائهِ التَّخييليِّ قيمًا إنسانيَّةً، قيمةَ الوطنِ/الهُويَّةِ، وقيمةَ الحُريَّةِ/انكسارَ المنفى، وقيمةَ الحياةِ/خِدمةَ الإنسانيَّةِ، ونبذَ الحربِ/إرادةَ السلامِ، والتآلُفَ بينَ الأديانِ والقوميَّاتِ، وعليهِ كانَ الاختيارُ.

البحثُ دِراسةٌ وصفيَّةٌ تطبيقيَّةٌ، قدَّمتُ لهُ بتأثيلٍ لُغويٍّ لمفهومي (التَّواصُلِ والاتِّصالِ)، وإثباتِ سوائيتِهما، لاختلافِ الباحثينَ فيهما اصطلاحيًّا، مُتبنيَةً مفهومَ (التَّواصُلِ) لتكوينِهِ التَّفاعُليِّ، ومُقاربتِهِ الاستعمالَ اللُّغويَّ، مُعرِّفةً إيَّاهُ مع عناصِرِهِ، عارضةً أشكالَهُ.

وقَسَّمْتُ البحثَ في محاورِهِ الرَّئيسةِ بحسبِ آليةِ التَّواصُلِ التي تخدِمُ بِنية السَّردِ الروائيِّ، مُخضِعَةً الدَّاخليَّ لأنماطِ البِنيةِ هذهِ، والمحاوِرُ: التَّواصُلُ الذَّاتيُّ تزامُنيًّا واستعاديًّا، والشخصيُّ مُباشِرًا ووسائطيًّا، والعامُّ بحسبِ أعدادِ المُتلقينَ صغيرًا أو كبيرًا، والجماهيريُّ أُجري على قنواتِ نقلِ المعلومةِ بينَ ثقافيٍّ (المطبوعات)، وإعلاميٍّ (البرَّاح والقوَّال).

وأُشِّرُ ثلاثَةَ أمورٍ، الأولَ أنَّ الأمثلةَ المُنتقاةَ حتَّمَها نوعُ التَّواصُلِ وفكرةُ الرِّوايةِ، والثانِي أنَّ تحليلاً نصيًّا لسردٍ ما، قد يتطلَّبُ وقفاتٍ نحويَّةً أو بلاغيَّةً تنهضُ بالفكرةِ قَيْدِ التَّحليلِ، والثالثُ أنَّ الروايةَ الحديثةَ، ومن خلالِ استقرائي لها، وبحثي اللغويِّ فيها، ما عادَتْ تُلقي حُمُولتَها

الموضوعيَّةَ بشكلٍ تراثُبيٍّ، بل بتقنيَّاتٍ مُتعدِّدَةٍ بحثْها كُتُبٌ مُختصَّةٌ فيها. لذا فمنهجُ البحثِ المُتَّبعُ يصلُحُ لكُلِّ روايةٍ، إنْ لَمْ يكُنْ كُليًّا فجُزئيًّا.

الكلماتُ المفتاحيَّةُ: اللسانيَّاتُ الحديثةُ؛ آلياتُ التَّواصُلِ؛ استراتيجيَّاتُ الخِطابِ؛ السَّردُ الروائيُّ.

Abstract :

The research is a linguistic study of communication methods in (*The Book of the Prince..The Pathways of the Iron Gates),* a novel by the Algerian writer Wasini AL-A'erjj. The novel represents the biography of the intellectual, well-educated and a great person Abdulkader EL-Djezairi who showed in his virtuous and imaginative mind many human values; the value of loyalty to homeland/ identity, the value of Freedom/ escaping exiles, the value of Life/ serving humanity, the renunciation of war/ proclaiming peace, and the coexistence between different religions and nationalities.

The research is an empirical and descriptive study in which I demonstrate the relationship between the two concepts of (communication and contact) and to prove their similarities since researches are of different standpoint as far as their terminology is concerned. Furthermore, he adopts in his novel the term, communication, due to its interactive configuration and Linguistic use, defining its elements, and showing its methods.

The research is divided, according to communication methods, into sections; Self-communication synchronously and retrospectively, Personal communication directly and indirectly, the general communication according to the number of receivers, adults or young children, and Three points are marked; the first one is that the selected examples are predetermined by the communication type and the concept of the novel, the second one is that a textual analysis for a given narrative may require grammatical or rhetorical pauses to strengthen then the concept, and the third is that the modern novel, no longer displays its objective content in a hierarchical way-Instead, it displays it by different techniques studied in specialized books.

Hence, the research methodology can, at least particularly, fit all novels.

Key Words: Modern Linguistics, Communication methods, Speech Strategies and narratives.

مُقدِّمَة :

إنَّ تأثيلَ مفهومِ التواصُلِ(Communication) في العربيَّةِ يُحيلُنا لجذرِ الكلمةِ، فـ (وَصَلَ) الثلاثيُّ بمعنى الانضمامِ حتى العلُوقِ، والتَّواصُلُ ضدَّ الانقطاعِ[2]، و(تَفَاعُلٌ) صيغةٌ مصدريَّةٌ للفعلِ الخماسيِّ (تَفَاعَل)، الدَّالةُ في أحدِ معانيها على التَّبادُلِ والمُشاركةِ، وهو المعنى نفسُهُ في (اتَّصَلَ/ افْتَعَل)، ومصدرُها (اِتِّصَال)[3]، وهذا ما تناقلتْهُ كتبُ المُحدثينَ[4].

نخلُصُ مِمَّا تقدَّمَ أنَّ الصيغتينِ الفعليتينِ لمفهومي (التَّواصُل والاتِّصال) دَالتانِ على المُشاركةِ الَّتي نفى باحثونَ مُحدثُونَ إيَّاها في مفهومِ الاتِّصالِ، فالتواصُلُ عمليَّةٌ ديناميكيَّةٌ (Dynamic)، والاتِّصالُ ميكانيكيَّةٌ (Mechanic) تجزيئيَّةٌ، الأوَّلُ مُتعدِّدُ الاتِّجاهاتِ، بُؤرتُهُ التغذيةُ الراجعةُ (Feed Back)[5]، مُتسعُ الأطرافِ، شموليُّ النُّظمِ الاجتماعيَّةِ. أمَّا الثاني فيُؤشِّرُ عمليَّةَ نقلِ المعلوماتِ لدى الكائنِ الحيِّ (الإنسانِ أو الحيوانِ)، أو المُكوِّنِ الجماديِّ، لذا خصُّوا التَّواصُلَ بالكائنِ الحيِّ الإنسانِ، لحُمُولَتِهِ التَّفاعُليَّةِ ضمنَ واقعٍ اجتماعِيٍّ، وعليهِ فهو جوهرٌ في الاتِّصالِ[6]. والمعاجِمُ الحديثةُ ثبَّتَتْ سوائيةَ المفهومينِ، معنًى واصطلاحًا، فكلاهُما اخْتَصَّا بنقلِ المعلوماتِ، عَبْرَ قنواتٍ مُختلفةٍ رابِطةٍ بينَ مُرسِلٍ ومُتلقٍ[7].

ومن إثرِ ما تقدَّمَ فكلا المفهومينِ يصبَّانِ في المضمونِ نفسِهِ، وأُؤثِرُ (التَّواصُلَ) لقُربِهِ من الاستعمالاتِ اللُّغويَّةِ، فالتَّواصُليَّةُ أو التَّداوليَّةُ أو الاستعماليَّةُ تُعنى باللُّغةِ والقصدِ، وإنْ أشارَ فيلسوفُ اللُّغةِ البريطانيِّ جون أوستن (J.Austin 1911– 1960م)، إلى الدَّعمِ الإشاريِّ للُّغةِ في سياقِ نظريتهِ (الأفعالِ الكلاميَّةِ أو الحدثِ اللُّغويِّ)[8]، بينما لازمَ مفهومُ (الاتِّصال) التَّطوُّرَ الميكانيكيَّ النقليَّ الوسائطيَّ الحديثَ أو الالكترونيَّ.

وعليهِ التزمُ في البحثِ باثنينِ، مصطلحِ التَّواصُلِ، وتكوينِهِ التفاعُليِّ الإنسانيِّ، لأنَّ العملَ الإبداعيَّ، أيًّا كانَ، خِطابٌ ذو مقاصِدَ سياقيَّةٍ، والروايةُ جزءٌ منهُ، ولَنا تعريفُ التَّواصُلِ بمُقاربةٍ شُمُوليَّةٍ لمحاورِهِ الثلاثةِ، العمليةِ التَّواصُليَّةِ، ووظائفِها، وأشكالِها، بأنَّهُ "جميعُ أشكالِ الاحتكاكِ والتَّواصُلِ التي تفرِضُها العلاقاتُ الاجتماعيَّةُ الإنسانيَّةُ وتدعُو لها الأغراضُ الحياتيَّةُ أو المعيشيَّةُ للفردِ والجماعةِ، وتستدعِي التَّخاطُبَ واستخدامَ اللُّغةِ في

إطارِها اللَّفظيِّ أو الرَّمزيِّ العامِّ، بما في ذلكَ الأغراضُ التربويَّةُ والتَّعليميَّةُ. كما تشملُ أنواعَ الاتِّصالِ الاجتماعيِّ والثقافيِّ المُباشِرِ الَّذي يلتقي فيهِ الإنسانُ مع غيرِهِ وجهًا لوجهٍ ويختلِطُ بهِ اختلاطًا فعليًّا حيًّا ويُبادِلُهُ الحديثَ أو الحوارَ مُشافهةً. والاتِّصالِ غيرِ المُباشِرِ الَّذي تتمُّ فيهِ المُشاهدةُ أو يتمُّ التَّخاطُبُ أو هُما معًا، من طرفٍ واحدٍ، ولكنْ عن طريقِ واسطةٍ مُعينةٍ"[9].

فالعمليَّةُ التَّواصُليَّةُ لها عناصِرُها المُتمثِّلةُ بـ(المُلقي أو المُرسِلِ/والموضوعةِ أو الرسالةِ/والمُتلقي أو المُستقبِلِ/والقناةِ أو الوسيلةِ/ورجع الصدى أو التغذيةِ المُرتجعةِ)[10]، أمَّا وظائِفُها فمتعلِّقَةٌ بتحقيقِ أهدافِ عمليَّةِ التَّواصُلِ، أفرادًا باستعمال وسائلها، أو مُشاركينَ بتواصُلِهِم المُباشِرِ، أو بمردودِ هذهِ العمليَّةِ على المُجتمعِ[11]، وللتَّواصُلِ الإشاريِّ قُدُراتٌ تصويريَّةٌ وجماليَّةٌ وتأكيديَّةٌ وأُخرى خاصَّةٌ بفنِّ التوريةِ البلاغيِّ، وبحسبِ مُؤشِّراتِ ورودِها في السياقِ النصيِّ[12].

وللتَّواصُلِ أشكالٌ، فالرَّمزيُّ: لغويٌّ وغيرُ لُغويٌّ، أي لفظِيٌّ و إشاريٌّ[13]، وهُناكَ تصنيفٌ آخرُ اتِّجاهِيٌّ، أُحادِيٌّ وثُنائيٌّ، فالأوَّلُ يُبقي المُرسِلَ مُرسِلاً والمُستقبِلَ مُستقبِلاً، والثاني يتمظهرُ فيهِ التَّواتِرُ الاتِّجاهيُّ، وتصنيفٌ ثالِثٌ مسافِيٌّ مكانِيٌّ، قريبُهُ ذو فضاءٍ طبيعيٍّ، وبعيدُهُ صِناعِيٌّ ولا شكَّ[14]، وهو مُقاربٌ التَّصنيفَ المُباشِرَ وغيرَ المُباشِرِ أو الوسائطيَّ في مضمونِ فضائهِ المكانيِّ النقليِّ[15]، والتَّصنيفُ الأخيرُ ذو المنظورِ العدديِّ للمُتصلينَ أو المُشاركينَ، ذاتيًّا كانَ أم شخصيًّا أم جمعيًّا عامًّا أم جماهيريًّا ثقافيًّا[16]، وعليهِ قُسِّمَ البحثُ لتشاكُلِ المُعطى اللُّغويِّ مع الإشاريِّ غيرِ اللُّغويِّ، وللتكوينِ الفيزيائيِّ المُتداخلِ للروايةِ التي حوتْ مُجملَ التَّصنيفِ الأخيرِ بميزةِ القرنِ التَّاسعَ عشرَ.

محاورُ البحثِ:

المحورُ الأوَّلُ: التَّواصُلُ الذَّاتِيُّ (Self – Communication):

وهو تواصُلٌ يعتمدُ التَّفكيرَ، لذا هو الأقدمُ وسيلةً، فالمرءُ جُبِلَ على مُحادثةِ النَّفسِ قبلَ الآخرينَ، وإنْ تعالَقَتِ المُحادثتانِ باللُّغةِ، غيرَ أنَّ الأولى تفكيرٌ والثانيةَ مُخاطبةٌ، وكلاهُما (التَّفكيرُ والمُخاطبةُ) مُؤثِّرانِ في المُجتمعِ، فالتَّفكيرُ السليمُ مُؤدٍ إلى خِطابٍ مثيلٍ، والمُنحرِفُ مؤدٍ إلى خطابٍ مُؤثِّرٍ سلبًا في المنظومةِ الاجتماعيَّةِ[17]، وهو ناتجُ التَّواصُلِ

الذَّاتيِّ المُتشاكِلِ من شخصيَّةِ المرءِ ونفسيتِهِ، وتجارِبِهِ وخبراتِهِ[18]، ويُسمَّى أيضًا التَّعبيرَ الذَّاتيَّ (Self– expression)، واللُّغةَ الدَّاخليَّةَ أو الباطنيَّة (Interieur Langag)، ومنشأهُ الرومانسيَّةُ (Romanticism)، المُؤرَّخُ ظُهُورُها في أواخرِ القرنِ الثامنَ عشرَ وأوائلِ التاسعَ عَشَرَ، للتعبيرِ عَمَّا يمورُ في دواخِلِ النَّفسِ الإنسانيَّةِ من أهواءٍ وآراءٍ وعواطِفَ وانفعالاتٍ[19]، ود. سعيد علُوش، أدْرَجَ تعبيرًا كهذا، خارجَ حَلْقَةِ التَّواصُلِ، على أنَّهُ نوعٌ من المُناجاةِ، بنياتُهُ حواريَّةٌ، الـ (أنا) فيهِ مدارُ اتِّجاهِيُّ التَّعبيرِ[20]، ولعلَّ رأيًا مِثلَ هذا مُتأتٍ من عنايةِ الفيلسوفِ والأكاديمي البلجيكي شايم بيرلمان (ChaÏm Perelman، 1914– 1984م)، بالمُتلقي إثرَ تقليلِهِ من شأنِ حِجَاجِ الذَّاتِ أو النَّفسِ[21]. ولنا تقسيمُ التَّواصُلِ الذَّاتيِّ، بحسبِ نُظُمِ السَّردِ في الرِّوايةِ، بينَ السَّردِ التَّزامُنيِّ (Concurrent narration) والاستعاديِّ (Retrospective narration).

– التَّواصُلُ الذَّاتيُّ التَّزامُنيُّ: والتَّزامنيَّةُ "دراسةُ نسقٍ في لحظةٍ معينةٍ، باستقلاليةٍ عن تطوراتِهِ القبليةِ أو البعديَّةِ"[22]،هذا في المصطلحِ اللِّسانيِّ، والسَّرديِّ هو عمليَّةٌ "تُنْتِجُ سردًا في صيغةِ الحاضِرِ. بحيث تحدثُ أفعالُهُ في ذاتِ الوقتِ الَّذي تُسردُ فيهِ (القصَّةُ الآن والخطابُ الآن متطابقانِ)"[23] .

في دواخِلِ الأميرِ همُّ الشتاتِ، وتوقُ الوحدةِ "(نحتاجُ إلى وقتٍ كبيرٍ لكي نُدرِكَ أنَّنا من أرضٍ واحِدةٍ ولو كُنَّا من قبائلَ شتى، وأنَّ مُستقبلَنا الكبيرَ في تكاتُفِنا وتعاضُدِنا، وليسَ في تقاتُلِنَا)، تمتمَ الأميرُ في خاطِرِهِ بدونِ أنْ يترُكَ سبحتَهُ"[24].

وأجِدُ في النصِّ استقراءً استدلاليًّا لوقائعَ وأحداثٍ روائيَّةٍ "على سبيلِ التَّذكيرِ واستخلاصِ العبرةِ، للخلوصِ إلى مبدأ عامٍّ"[25]، مفادُهُ استيلادُ المدنيَّةِ فكرًا مُقابِلاً للقبليَةِ، بإشاريَّةٍ تضامُنيَّةٍ تنمُّ عن الانتماءِ الجمعيِّ، ولاسيما أنَّ المُتحدِّثَ شخصيَّةٌ قياديَّةٌ خَبِرَتِ المجتمعَ العربيَّ، تجارِبَ وثقافةً مُستقرأةً، نُؤشِّرُها في التَّواصُلِ الجماهيريِّ بتصنيفِهِ الثقافيِّ.

والانتماءُ هذا مثَّلَتْهُ إشاريَّةُ التَّكلُّمِ الاحتوائيَّةُ (نحن) المُضمرةُ أو المستترةُ (Latent Pronouns)، وتُسمَّى الصامتةَ أو الخفيَّةَ (Silent) في (نحتاج/نُدرِك)، و(نا) المُظهرة أو المُتصِلَة (Connected Pronouns) في (أنَّنا/كُنَّا/مُستقبلنا/تكاتُفنا/ تعاضُدنا

/تقاتُلنا)، بسياقٍ تقريريٍّ، أعانتْ عليهِ خبريَّةُ تتابعيَّةِ الجملِ القضويَّةِ، فعليَّةً كانَتْ أم اسميَّةً، وهو ما يُسمَّى بـ (الوصلِ) الَّذي يُعدُّ شكلاً حِجاجيًّا لِما يقومُ بهِ من "ضمِّ الفكرةِ إلى الفكرةِ وإنْ تباينتا، وجَعْلِ الواحِدةِ بسببٍ من الأُخرى للوصولِ إلى نتيجةٍ واحدةٍ"[26]، ومُؤشِّرُ الوصلِ (الواو) الرابطةُ، والمُفيدةُ – في السياقِ– معنى الجمعِ المُطلقِ على اللاحِقِ المُتقارِبِ[27]، وأرى في اللاحِقِ استشعارَ المُستقبِلِ وعناصرِهِ الإيجابيَّةِ ثمَّ السَّعي إلى التَّوحيدِ، وفي التَّقارُبِ أمرَ الإدراكِ، وهو "استقبالُ الشيءِ بالحواسِ ثمَّ استيعابُهُ الكيموحيوي[28] داخِلَ الدِّماغِ"[29]. والانتماءُ ماثِلٌ أيضًا في التَّوكيدِ الأداتيِّ المُكَرَّرِ(أنَّ) في ثيمتي (الوحدةِ والمستقبلِ)، والإشاريَّةِ التنغيميَّةِ ذي المدى السَّلبيِّ التَّوكيديِّ بنبرةٍ خفيضةٍ تُصاحِبُ الفِكَرَ الذِّهنيَّةَ المُحمَّلةَ بعاطفةِ الحُزنِ، التي بلا شكٍّ، تهبِطُ بنشاطِ جسمِ الإنسانِ[30]، والحزنُ بادٍ على الأميرِ وهو يرى فعليًّا القبائلَ العربيَّةَ تتقاتلُ فيما بينها، مُمنيًّا النَّفسَ بواقعٍ مُتماسكٍ في قابلِ الزَّمنِ، تلَكَ النَّفسُ مُعتمِدةٌ على اللهِ ومُوكِلَةٌ الأمرَ إليهِ بإشاريةِ (السِّبحة).

وفي السِّياقِ نفسِهِ، الأميرُ وقد أخلى مدينةَ (مُعسكرٍ) قبلَ مُهاجمةِ القوَّاتِ الفرنسيَّةِ لَها، وقُبيلَ مُغادرتِهِ ومَنْ شاءَ الهجرةَ معهُ، وقفَ مُلتفتًا إلى حرائِقِها، وأنينِ رياحِهَا، وانحناءاتِ أشجارِها، وحيواناتِها المُجبرةِ على السَّيرِ، مُحدِّثًا النَّفْسَ "مَجْهُوْدُ سنواتٍ من البناءِ يذهبُ مع الرِّيح. تمتمَ الأميرُ بدونِ أنْ يُحرِّكَ حتى شفتيهِ"[31].

واستشعِرُ في تمتمةِ الأميرِ خِطابًا تضامُنيًّا، فالجملةُ القضويَّةُ تقريريَّةٌ لحقيقةِ ضَياعِ جُهدٍ بنائيٍّ مُضنٍ، فمجالُ الخطابِ/المُبتدأ (مجهودُ...)، موصوفٌ حِمْلُ خِطابِهِ زمنيَّتُهُ حاليَّةٌ، وحِمْلُ الخِطابِ/الخبر (يذهبُ...)، الَّذي منح معنى الاستمرارِ المُتجدِّدِ للجملةِ[32]، وفي التَّجدُّدِ يكمنُ مفهُومُ الحربِ ونيرانِها. والمُؤشِّرُ التَّنغيميُّ ينمُّ عن تأكيدِ فكرةٍ ذهنيَّةٍ مؤلِمَةٍ، بصوتٍ خفيضٍ ذاتيٍّ، ذي المدى السلبيِّ لمُصاحبةِ عاطفةِ الحزنِ إيَّاهُ.

– التَّواصُلُ الذَّاتيُّ الاستعاديُّ: ويرِدُ ضمنَ التَّقنيةِ السَّرديَّةِ الاسترجاعيَّةِ، والاسترجاعُ (Recovery) مُفارقةٌ زمنيَّةٌ تُوقِفُ مساقَ الأحداثِ الرَّاهنةِ أو الوقائعِ الآنيةِ لتُعيدَنا إلى الماضي[33]، إنَّهُ من عوالِمِ الرِّوايةِ الحديثةِ، التي أنكرَتِ السَّردَ التَّراتُبيَّ/ الكرولونوجيَّ، لتُقِرَّ الذِّهنيَّ، ذا التَّداعياتِ القافِزةِ في الوعي الحاضرِ[34]. وهو تواصُلٌ شخصيٌّ، وأقولُ شخصيٌّ

لتوافُرِ آلياتِهِ المُبينةِ لاحقًا، غيرَ أنَّ الانقطاعَ الزَّمنيَّ، وقولَبةَ المُعطى اللُّغويِّ، يُفقِدُهُ استمراريتَهُ، ما دفعني إلى وضعِهِ ضمنَ حيِّزِ الذَّاتيِّ، هذا ما رأيتُ.

جون موبي مرافِقُ الأبِ الفرنسيِّ مونسينيور ديبوش/أُسقُفِ الجزائرِ، الَّذي أفْنَى حياتَهُ في خِدمةِ الإنسانيَّةِ، وأوصى بدفنِ جثمانِهِ في أرضِ الجزائرِ[35]، يستذكِرُ تواصُلاً شخصيًّا أثارهُ فيهِ لونُ البحرِ المائلِ إلى الخُضرةِ، اللَّونُ نفسُهُ في مشهدي وطء الأُسقُفِ هذهِ الأرضَ أوَّلَ مَرَّةٍ، والإتيانِ برُفاتِهِ إليها بعدَ ثماني سنواتٍ من وفاتِهِ، والنصُّ المُستذكَرُ:

"– مونسينيور، هل رأيتَ؟ بحرُهُم أخضرُ وليسَ أزرقَ مثلَ بحرِنا؟

– كُلُّ بحارِ الدُّنيا مُتشابهةٌ يا عزيزي جون. إذا أردْتَ أنْ تعرِفَ أسرارَ الماءِ ادخُل البحرَ فجرًا وسترى كُلَّ عبقريَّةِ اللهِ في الألوانِ والتَّوليفِ"[36].

إنَّ مؤشِّراتِ المُعطى اللُّغويِّ التَّواصُليِّ تنمُّ عن بُعدٍ اجتماعيٍّ أُفُقيٍّ تضامُنيٍّ، وهو مُحاولةُ "المُرسِلِ أنْ يُجسِّدَ بها درجةَ علاقتِهِ بالمُرسَلِ إليهِ ونوعَها، وأنْ يُعبِّرَ عن مدى احترامِهِ لها ورغبتِهِ في المُحافظةِ عليها، أو تطويرِها بإزالةِ معالِمِ الفروقِ بينهُما"[37].

(مونسينيور) قولٌ مُرسَلٌ مُجرَّدٌ من الكُنى والألقابِ، ومُجرَّدٌ من أداةِ النِّداءِ، ليدُلَّ التَّنغيمُ الصَّوتِيُّ عليها، وأرى في حذفِها فضلاً عن القربِ المسافي، القربَ النَّفسيَّ للمُنادَى، إنْ أدركنا عُلُو مكانتِهِ لدى المُتحاورِ[38]، وإجابةُ المُتلقِي (يا عزيزي جون)، المُتأخِّرُ لفظًا، وحقُّ النِّداءِ التَّقديمُ[39]، وبلاغةُ التقديمِ تموضعَتْ في العنايةِ والاهتمامِ[40]، والتأخيرُ هنا موضعُ البلاغةِ، بحسبِ ما أرى، فالاستفهامُ (هلْ رأيتَ)، أُريدَ بهِ تعجُّبًا ودَهشةً، ولعلَّ فيهِ ملمحَ جذبِ المُتلقي أو استقطابِه، فبعضُ الأسئلةِ يُرادُ بها جعلُ "المُرسَلِ إليهِ يُركِّزُ على نقطةٍ مُحدَّدةٍ في الحوارِ"[41]، والنقطةُ المُركَّزُ عليها التباينُ اللَّونيُّ بينَ بحرِ الجزائرِ ومثيلِهِ الفرنسيِّ، فالجزائريُّ أخضرُ موحٍ بالبهجةِ، والتفاؤلِ، والخصبِ، والنعيمِ الآخروي[42]، والفرنسيُّ أزرقُ، والقاتِمُ منهُ يعني "تفكُّكَ العلاقاتِ (أو على الأقلِّ الرَّغبةَ في قطعِها)، ويُسبِّبُ الانزعاجَ والقلقَ والسلوكَ غيرَ المُتوازنِ وقدرًا من الاهتياج"[43]، والدُّكْنَةُ هذهِ تُلائمُ البحر لعُمقِهِ، ما يدفعُ إلى تكاثُفِ لونِهِ. وفيهِ تأشيرُ الاختلافِ.

والإجابةُ تمحورَتْ في مجالِ الخطابِ/المبتدأ/المسند إليهِ (كُلُّ...)، والحمولة/ الخبر/ المُسند (مُتشابهة)، خبريَّةً تقريريَّةً دالةً على"الدَّوامِ والاستمرارِ الثُّبوتي بمعونةِ قرائنَ"[44]،

وأرى في (كُلّ) قرينةَ العمومِ لإفادتِها الاستغراقَ والإحاطةَ[45]، لِتدُلَّ على شموليَّةِ بحارِ العالمِ كافةً، مُؤشِّرةً بِنيةً عميقةً يابسةَ العالمِ أو دُولَها.

ولعلَّ إرادَةَ المُتلقي/المُلقي في الوقتِ نفسِهِ، أنَّ العالَمَ بينَ دُكنةِ الأزرقِ، وبهجةِ الأخضرِ، إنَّهُ الاختلافُ المؤتلِفُ، ذلكَ الائتلافُ الَّذي لا بُدَّ منهُ، وهو أمرٌ ليسَ باليسيرِ، فضلاً عن حاجتِهِ إلى تضافرِ استكمالاتٍ فكريَّةٍ واجتماعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ، هذا الثِقَلُ قُدِّمَ ليستكينَ منهُ إلى العزيز جون، وهو ملائمٌ للإيقاعِ الصَّوتيِّ أو النَّبرِ السِّياقيِّ/ الدَّلاليِّ للجملةِ، فدفعةُ الهواءِ أقوى، والصَّوتُ أعلى مع تأكيدِ ملمحِ ثِقَلِ الشُّموليةِ، وكلاهما ينخفضُ مع تقريريَّةِ حقيقةِ قربِ جون من ذاتِهِ[46]، حتَّى الإبقاءِ على أداةِ النداءِ(يا)، أجدُ فيهِ مدًّا صوتيًّا يُثبِّتُ ذلكَ العُمقَ النَّفسيَّ، وهو ما يُوائمُ استراتيجيَّةَ التَّضامُنِ المُؤشَّرَةَ آنِفًا.

مونسينيور ديبوش في القطارِ المُؤدِّي بهِ إلى المدينةِ الفرنسيَّةِ أورليان ليتَّجهَ بعدها إلى بوردو، استحضرَ مع الظُّلمةِ الَّتي هَبَطَتْ على الضِّياعِ "أوْجُهَ الَّذينَ عَرِفَهُم عن قُربٍ، أساقفةً ورُهبانَ ويتامَى وفُقراءَ ومرضى ومساجينَ، وجهُ الأميرِ بكُلِّ صفائهِ، وتلكَ المرأةُ الَّتي لَمَعَتْ كرأسِ سيفٍ اصطدَمَ بشيءٍ حادٍّ في عُمقِ الظلمةِ القاسيةِ. رآها وهي ترجُوهُ أنْ يُنقِذَ زوجَها"[47].

وأجدُ في النصِّ مُؤشِّراتِ الخِطابِ التَّضامُنيِّ اللُّغويَّةَ، الدَّاعِمةَ إنسانيَّةَ الأُسقُفِ ديبوش، تغييبُ الذَّاتِ والتَّفكيرُ بالآخرينَ من ذوي الأزماتِ والحاجاتِ (الأمير/يتامى/فقراء/مرضى/مساجين)، ونمطُ الرِّفقةِ من السَّواعِدِ المُعينةِ (أساقفة/ رُهبان)، وكُلُّها إحالاتٌ بنائيةٌ، والبنائيةُ إدراجُ إنموذجِ المُتكلِّمِ الذِّهنيِّ لدى المُخاطَبِ، والتَّعيينيَّةُ ضمائريَّةٌ تعودُ إلى ذاتِ المُكوِّنِ البنائيِّ، نحو(اقتنيتُ روايةً، قرأتُها في يومينِ)، فالرِّوايةُ الأولى إحالةُ بناءٍ، والضَّميرُ (ها) إحالةُ تعيينٍ لها، إذْ أشَّرَتْ ما في ذِهْنِ المُخاطَبِ/المُتلقي[48]، والتَّعيينيَّةُ في النَّصِّ غَيبيَّةٌ (عرفهُم، صفائه، رآها، ترجوهُ، زوجها)، دالةٌ على الجنسِ والعددِ وهي مؤشِّرٌ أدواتيٌّ على تغييبِ الذَّاتِ المُستذكَرَةِ، لكونِ الضَّمائرِ الحضوريَّةِ تمنحُ الأولويَّةَ للشَّخصيَّةِ المُتلفظةِ[49].

وتتمثَّلُ في النَّصِّ سيميائيَّةٌ تواصُليَّةٌ، تضمُّ وحدةً ثلاثيَّةَ المبنى (الدَّال/المدلول/القصد)، والقصديَّةُ موضعُ الاختلافِ بينها وسيمياءِ البنيةِ، وبينَ وظيفتِها والوظيفةِ الدَّلاليَّةِ، فتحديدُ

معنى ما مُتعلِّقٌ بمقاصِدِ المُتكلمينَ، وبذا تكونُ هذهِ المقاصِدُ هي الملمحُ المُميِّزُ[50]. إنَّ الملمحَ المسودَ في النَّصِّ إنسانيٌّ بحتٌ، فمع الظُّلمةِ تبرُقُ وجوهُ أصحابِ الأزماتِ والحاجاتِ، ولاسيما تلكَ المرأةِ التي كانَتْ التماعتُها (كرأسِ سيفٍ...)، ليُثبِّتَ حِدَّةَ الصوتِ/شِدَّةَ الحاجةِ، وشرارةَ البرقِ/قُوَّتَهُ في الظلمةِ.

المحورُ الثاني: التَّواصُلُ الشَّخصيُّ (Personal Communication):

وعُرِّفَ الشَّخصيُّ بأنَّهُ التَّواصُلُ الحادِثُ بينَ اثنينِ؛ مُرسِلٍ ومُستقبِلٍ، لِتتَّسِعَ أطرافُهُ إلى عدديَّةٍ أكثرَ من ذلكَ[51]، هذهِ التَّوسَعةُ أتى بها بورمان أرنيست (Ernest G. Bormann)، وبورمان نانسي (Nancy Bormann)، على أنْ تكونَ المجموعةُ صغيرةً[52]، وفي تحديدِ صِغَرِ المجموعةِ فصلٌ بينهُ والجمعيِّ /العامِّ، وهذهِ إحدى مزياتِهِ، محدوديَّةُ الجمهورِ، فضلاً عن انخفاضِ تكلُفتِهِ، و تقديرِ الموضوعةِ المُتناولةِ حجمًا، والمُباشرةِ الفعليَّةِ وردِّ الفعلِ ما يتطلَّبُ الوضوحَ[53]، وإيجابيَّتُهُ تتطلَّبُ توافُرَ توافُقٍ بينَ الأطرافِ مَظهرًا وفِكْرًا ومُعتقدًا[54]. ولنا تقسيمُ المحورِ بينَ مُباشِرٍ ووسائطيٍّ.

– التَّواصُلُ الشَّخصيُّ المُباشِرُ: ويمثِّلُهُ الحِوارُ(Dialogue)، وهو تخاطُبٌ في قضيَّةٍ ما أو فعلٍ، يُرادُ بهِ تقريبُ وجهاتِ النَّظرِ، أو الاقتناعِ، صُورتُهُ المُثلَى المُناقشةُ(Discussion) وهي تفحُّصُ مسألةٍ مُتحاوَرٍ فيها[55]. وبذا فهي تفَحُّصٌ حواريٌّ ينأى عن الإرغامِ.

جون في حِوارٍ مع الصَّيَّادِ المالطِيِّ إثرَ رمي الأتربةِ الَّتي وطأها ديبوش في البحرِ: "– هلْ يُريدُ سيِّدِي أنْ نتوغَّلَ أكثرَ نحو العُمقِ؟

– نحو أبعدِ وأنظفِ نقطةٍ حيثُ لا زيوتَ ولا نفاياتِ. حيثُ لا شيءَ سوى الصَّفاءِ والنُّورِ والحياةِ الصَّامتةِ للأشياءِ كما في بدءِ الخليقةِ. مونسينيور ديبوش كانَ يُحبُّ الماءَ والصَّفاءَ والنَّورَ والسَّكينةَ على الرَّغمِ من الظُّروفِ القاسيةِ التي لَمْ تمنحهُ إلاَّ المنفى والجري وراءَ سعادةِ الآخرينَ حتَّى نَسِي نفسَهُ. ...

– النَّاسُ الكِبارُ دائمًا هكذا، لا نعرِفُ قيمتَهُم إلاَّ عندما ينطفئونَ، مُخلِّفِيْنَ وراءَهُم ظُلمةً كبيرةً وحَيْرَةً وخَسَارَةً لا تُعوَّضُ، وأسئلةً تجرحُ الحلْقَ والذَّاكِرَةَ"[56].

إنَّ استفهامَ الصَّيَّادِ المالطيِّ حقيقيٌّ (هلْ يُريدُ...)، لمُتطلباتِ مهمتهِ مخرِ البحرِ، خطابُهُ توجيهيٌّ يُرادُ به توجيهُ المُرسَلِ إليهِ نحو ضرورةِ الإجابةِ[57]، وقولُهُ (سيدي) تضامُنِيٌّ خاضِعٌ لمبدأ التَّأدُّبِ الإيجابِيِّ، الَّذي قالَتْ بهِ اللُّغويَّةُ الأميركيَّةُ روبين لاكوف (Robin Lakoff، 1942–؟ م)، وأرى فيهِ الاحترامَ والتَّودُّدَ الاجتماعيَّ وليسَ السلطويَّ، لقولِ جون في موضعٍ تواصُليٍّ آخرَ "وماذا يستطيعُ خادِمٌ مثلي أنْ يفعلَ سوى أنْ يُذكِّرَ ذوي الشأنِ من حينٍ لآخرَ"[58]، وبؤرةُ الجديدِ، أي المعلومةُ الأهمُّ في الجُملةِ، استفهاميَّةٌ مكانيَّةٌ (نحو العُمق)، والجديدُ منها "تُسندُ إلى المُكوِّنِ الحامِلِ للمعلومةِ الجديدةِ بالنسبةِ للمُتكلِّمِ (في حالةِ الاستفهامِ) أو للمُخَاطَبِ (في حالةِ الإخبارِ)"[59].

وفي إجابةِ جون استلزامٌ حواريٌّ(Conversational Implicature)، يُرادُ بهِ تغيُّرُ المعنى بتغيُّرِ سياقاتِهِ، فالمُتكلِّمُ يقولُ شيئًا ويقصُدُ آخرَ، والمُخاطَبُ يسمعُ شيئًا ويفهمُ آخرَ، هذا المضمونُ الَّذي أتى بهِ (هربرت غرايس Herbert Grice، 1913–1988م)، لذا أوجدَ مبدأ التَّعاونِ بينَ طرفي الخِطابِ(Co–operative principle)[60].

وأرى أنَّ النصوصَ الأدبيَّةَ لا يُمكنُ قولبتُهَا ضمنَ مبادئ التَّعاونِ الأربعةِ، لتشعُّبِ طروحاتِها ومقاصِدِها، وتعدُّدِ استراتيجياتِها، وفي إجابةِ جون ومن بعدها المالطيُّ (النَّاسُ الكبارُ...) تمكَّنَ مبدآ الكيفِ والمناسبة، فالأوَّلُ "لا تقُلْ ما تعتقدُ أنَّهُ غيرُ صحيحٍ، ولا تقُلْ ما ليسَ عندَكَ دليلٌ عليهِ، [والثاني] اجعلْ كلامكَ ذا علاقةٍ مناسبةٍ بالموضوعِ"[61]، ودليلُ جون رفقتُهُ الشخصيَّةُ، والصيَّادُ المالطيُّ خبرتُهُ الحياتيَّةُ.

ومحورُ الإجابةِ والتَّعقيبِ مونسينيور ديبوش، لكونِ الوظيفةِ التَّداوليَّةِ للمحورِ تُحدَّدُ بحسبِ المقامِ، ومَحطِّ الحديثِ عن الذَّاتِ[62]. إذْ جعلَ جون من بؤرةِ المكانِ (العمق) مُنطلقًا للحديثِ عن عمقِ إنسانيةِ ديبوش، فحقيقةُ البحثِ عن بقعةٍ نظيفةٍ في البحرِ، انعكاسٌ لنفسِ الشَّخصيَّةِ المحورِ، (أبعدُ وأنظف، لا زيوتَ ولا نفاياتِ، كانَ يُحبُّ الماءَ...، الجري وراء سعادة الآخرينَ)، كُلُّها تُؤشِّرُ أنْ لا عوالقَ حياتيَّةً في نفسِهِ، ومع محبةِ النَّاسِ كُوفئ بالمنفى من دائنيهِ، الَّذينَ يُدركُونَ أنَّ أموالَهُم ذَهَبتْ إلى اليتامَى والفُقراءِ[63]. ليكونَ التَّعقيبُ (النَّاسُ الكبارُ...) مؤشِّرًا إلى أنَّ عُلُوقَ الإنسانِ في الذَّاكرةِ،

وترديدَهُ في الألسُنِ، مرتبطٌ بعطائِهِ وبقيمهِ الإنسانيَّةِ، وبفَقْدِها إثرَ فَقْدِهِ، يترآى لنا ذلكَ الفراغُ المُعتِمُ، فالمواقِفُ الإنسانيَّةُ مراكِزُ النُّورِ في الحيواتِ البشريَّةِ الصَّعبةِ.

وفي سياقِ التَّواصُلِ نفسِهِ حِجاجِيَّةُ الحربِ ومُؤثِّراتِها السَّلبيَّةِ، واختيارِ الاستسلامِ بينَ مونسينيور ديبوش والأميرِ في منفاهُ الفرنسِيِّ:

"– مونسينيور؟ هلْ تعرِفُ ما مقدارُ مسؤوليَّةِ أنْ تجُرَّ وراءكَ دولتَكَ؟ معناهُ بكُلِّ بساطةٍ أنْ تكونَ حذِرًا ليسَ فقط على جيشكَ ولكنْ على أبنائِكَ وشرفِكَ. ورُبَّما بسببِ خطأ صغيرٍ يُمكِنُ أنْ تدفعَ بكُلِّ شيءٍ إلى الهلاكِ...

– أَلَمْ تكُنْ هناكَ حلولٌ أخرى في مقدورِ البشرِ تسييرَها...

– وما هي الخياراتُ التي تُركَتْ لِي في حربٍ أحرقَتْ كُلَّ مُدُنِي يا مونسينيور؟ صِفر. إمَّا الاستسلامُ في وقتٍ مُبكِّرٍ أو النِّضالُ حتَّى النِّهايةِ وبكُلِّ الوسائلِ المُمكِنةِ والمُتوافِرةِ... حتَّى مكتبتي في تَكدامَتْ لَمْ أُنقِذْ منها إلاَّ ما أستطعْتُ إخراجَهُ.

– الكُتُبُ أُحرِقَتْ؟

– أُحرِقَ القرآنُ والتَّوراةُ والإنجيلُ في تَكدامَتْ. النَّارُ كالحِقدِ، عمياء. أُحرِقَ ابنُ خلدون وابنُ عربيٍّ وكتابٌ عن نابليون ترجمهُ لِي ابنُ التُّهامِيِّ وغيرُها من المخطوطاتِ النَّفيسةِ. يحدثُ لِي أنْ أبكي على كتابٍ أكثرَ من بُكائي على أعزائي الَّذينَ أكلتهُم الحربُ، فهُم في الجَنةِ ولكنَّ المخطوطاتِ اندثرَتْ وإلى الأبدِ، وهل تُدرِكُ يامونسينيور مقدارَ الخسارةِ الفادحةِ؟ لَمْ يعُدْ لنا مكانٌ في أرضِنا وأرضِ أجدادِنا"[64].

والحِجاجُ (Argumentation) "حاصِلٌ نصيٌّ عن توليفٍ بينَ مُكوِّناتٍ مُختلِفةٍ تتعلَّقُ بمقامٍ ذي هدفٍ إقناعيٍّ"[65]، وبينَ الإقناعِ والاقتناعِ فارِقٌ، الأوَّلُ عمليةٌ إقناعيَّةٌ قائمةٌ على الغيرِ دومًا، والثاني على الشَّخصِ نفسِهِ بوساطةِ أفكارِهِ[66]، وأراهُ الحِجاجَ الذَّاتيَّ في إقرارِ الفِكَرِ لدى الشَّخصِ واستقرارِها.

حَفِلَ النَّصُّ ذو الطُّروحاتِ الافتراضِيَّةِ من الأميرِ بأدواتٍ لغويَّةٍ مُسهِمةٍ في الحِجاجِ، منها التَّعليليَّةُ، لحاجةِ الأفعالِ الحادثةِ أي الواقعةِ إلى التَّعليلِ، لِما تُثيرهُ في النَّفسِ من أسئلةٍ، لذا فتعليلُها نوعٌ من تأكيدِ صحةِ الخبرِ أو الحُكمِ وتثبيتِهِ[67].

وفي النصِّ أدواتٌ تعليليَّةٌ وألفاظٌ، فالأولى مثلَثُها (لكِنْ) المُخفَّفَةُ في (ولكنْ على أبنائكَ وشرفِكَ)، وهي بمعنى واحدٍ مع الثقيلةِ أو المُشدَّدَةِ، ترِدُ للتَّوكيدِ إنْ لَم يُخالِفْ ما بعدَها حُكمَ ما قبلها، وللاستدراكِ ورُبَّما التَّحقيقُ إنْ خالَفَ ما بعدَها حُكمَ ما قبلَها[68]، والسُّلَّمُ الحِجاجيُّ للموضُوعةِ يدفعُني إلى شِقِّ الاستدراكِ، والسُّلَّمُ هذا بحسبِ تعريفِ د. طه عبد الرحمن أقوالٌ علائِقُها تراتُبيَّةٌ، مُستوفيةٌ شرطي الإلزامِ في القولِ، وتراتبيَّةِ المدلولاتِ المُعيَّنةِ بحسبِ قُوَّتِها، ولهُ ثلاثةُ قوانينَ: الخفضُ، وتبديلُ السُّلَّم، والقلبُ[69].إذْ بدأ بالجيشِ وسُلميتُهُ أدنى، ثمَّ الأبناءِ أعلى رُتبةً، ثمَّ الشَّرفِ الأعلى في السُّلَّمِ، فالأوَّلُ للدِّفاعِ، والثاني للدِّفاعِ والبناءِ، والثالثِ للهِ، وما للهِ أعلى منزلةً.

ووردَتْ (لكنَّ) الثَّقيلةَ للتَّحقيقِ في قولِهِ (ولكنَّ المخطوطاتِ اندثرَتْ وإلى الأبدِ)، فالعلاقةُ بينَ الأعزاءِ والمخطوطاتِ الفَقْدُ، بادِئًا بالأهلِ لقناعتهِ باستقرارِهم الجناني، ثمَّ الفِكْرِ لإيمانهِ بعدميَّةِ استرجاعهِ، أي المُستقِرُّ ثمَّ اللامستقِرُّ.

أمَّا الألفاظُ فهي (معناهُ بكُلِّ بساطةٍ) تعليلاً لاستفهامٍ طرحهُ، ذي وظيفةٍ توجيهيَّةٍ توضيحيَّةٍ (هل تعرِفُ ما مقدارُ...؟)، و(رُبَّما بسببِ ...).

والملحوظُ أنَّ استفهامَي الأميرِ افتراضِيَّانِ وليسَ حقيقيين، ليُظهِرَ من خلالِهما حقيقةَ موقفهِ من قرارِ استسلامهِ،(ما هي الخياراتُ.../صفر)، (هل تُدركُ...مقدارَ الخسارة/لم يعدْ لنا مكانٌ في أرضنا...). واستفهامَي مونسينيور هُما الآخرانِ غيرُ حقيقيين، فقولُهُ (أَلَمْ تكنْ هناكَ حلولٌ أُخرى؟)، تقريريٌّ إخباريٌّ، فمعَ الاستفهامِ والنفي يتمظهرُ التَّحجُّرُ القضويُّ، وتُقصي القوَّةُ المُستلزَمةُ (الخبريَّةُ) الحرفيَّةَ (الاستفهاميَّةَ)[70]. وفي (الكُتُبُ أُحرِقَتْ؟) استفهامٌ تنغيميٌّ دالٌّ على التَّعجُّبِ والدَّهشةِ باستنكارٍ، وهي قُوَّتُهُ المُستلزَمةُ، وشِدَّةُ وقعِ الحدثِ على المُتلقي سببُ حذفِ أداةِ الاستفهامِ، الهمزة التي لا يُقدَّرُ سواها حذفًا[71].

وفي الإجابةِ تفصيلٌ، استشعرُ بهِ دَعْمَ قُوَّتِهِ الحِجاجيَّةِ بآليةٍ بلاغيَّةٍ مُتمثِّلةٍ ببيانِ الأجزاءِ لكُليَّةِ الكُتُبِ المحروقةِ، فـ"قد يذكُرُ المُرسِلُ حُجَّتَهُ كُليًّا في أوَّلِ الأمرِ، ثمَّ يعودُ إلى تفنيدِها وتعدادِ أجزائِها، إنْ كانَتْ ذاتَ أجزاءٍ، وذلكَ ليُحافِظَ على قُوَّتِها الحجاجيَّةِ، فكُلُّ جزءٍ منها بمثابةِ دليلٍ على دعواه"[72]. وأرى في إجابةِ الأميرِ تدعيمًا لقولهِ (حتى مكتبتي

في تكدامَتْ...)، ولاستفهامِ مونسينيور الغارِقِ في الدَّهشةِ والاستنكارِ، لذا بدأتِ الإجابةُ من أعظمِ الكُتُبِ حتى أقلِّها رُتبةً، من الكُتُبِ السماويَّةِ إلى الكُتُبِ البشريَّةِ المُؤلَّفةِ، القرآنُ/خاتَمُ الكتُبِ المُنْزَلةِ، التَّوارةُ/أوَّلُها، الإنجيلُ/ثانيها، لتليها الأدنى مرتبةً ابن خلدون وابن عربي، ليختتمَ سُلَّمَهُ بثقافتِهِم كتابِ نابليون، وكُتُبٍ أُخرى. إذْ أرادَ من خلالِ سُلَّمِهِ تثبيتَ حقيقةٍ عَبْرَ مُعادلةٍ تشبيهيَّةٍ (النَّارُ كالحقد، عمياء)، فالنَّارُ= عمياء، والحقدُ= أعمى، بحذفِ طرفي العمى، تتضحُ معادلةُ النَّارِ= الحقدِ.

– التَّواصِلُ الشَّخصيُّ الوسائطيُّ: وهو الاتِّصالُ الشَّخصيُّ غيرُ المُباشِرِ، وقنواتُهُ الاتِّصاليَّةُ في الرِّوايةِ الرَّسائلُ والمُراسلُوْنَ، وعليهِ التَّقسيمُ:

– التَّواصُلُ الشَّخصيُّ المكتوبُ: تمظهرتْ في الرِّوايةِ الوثائقُ والتَّقاريرُ والرَّسائلُ، والأخيرةُ ما سأعرِضُ تحليلاً للإيجازِ، والرِّسالةُ(Message) "تلكَ المعاني التي تُنقلُ إلى العقلِ المُدرَكِ من خلالِ رموزٍ لُغويَّةٍ، أو وسائلَ توصيليَّةٍ أُخرى بما فيها الوسائلُ الآليَّةُ"[73]، والرُموزُ اللُّغويَّةُ مع الوسيلةِ التَّوصيليَّةِ هدفُنا البحثيُّ هنا.

وجَّهَ مونسينيور ديبوش رِسالةً إلى الأميرِ عبد القادِرِ الجزائريِّ، إثرَ دخولِ امرأةٍ عليهِ ترجوهُ إنقاذَ زوجِها، ما دفعهُ إلى إمساكِ قلمهِ ليخُطَّ على ورقِهِ "سيدي السُّلطان.. أنتَ لا تعرِفُنِي ولكنِّي رجلٌ مؤمِنٌ مُتفانٍ في خِدمةِ اللهِ مثلُكَ تمامًا، لو كنتُ أملِكُ القُوَّةَ للركوبِ على ظهرِ حصانٍ الآنَ، لجئتُكَ للتوِ،...، وسأقِفُ عندَ مدخلِ خيمتِكَ وأقولُ لكَ بصوتٍ لنْ يخيبَ إذا كانَ ظنِّي فيكَ صادِقًا، أعِدْ لِي أخي الَّذي وقعَ أسيرًا بينَ أيديكُم...ولا أستطيعُ أنْ أمنحكَ بالمُقابِلِ إلاَّ صلواتِ روحٍ صادِقةٍ واعترافَ العائلةِ التي أُكاتِبُكُم باسمِها"[74].

فحوى الرِّسالةِ توجيهيٌّ آمِرٌ (أعِدْ لِيْ أخي)، عُدِّلَتْ قُوَّتُهُ الإنجازِيَّةُ[75] تقديمًا وتأخيرًا عنهُ، وفي تعديلِها تقويةٌ للحدثِ اللُّغويِّ[76]، لِمَا بينَ المُلقي والمُتلقي من تفاوتٍ في السلطاتِ، الأوَّلُ إنسانيَّةٌ والثانِي تنفيذيَّةٌ.

وفي التَّضامُنيَّةِ ذاتِ التَّأدُّبِ التَّبجيليِّ تقديمُ الخِطابِ بـ(سيِّدي السلطان)، وختمُهُ بـ(أُكاتِبُكم)، ففيها الرَّسميَّةُ، والرُّتبةُ الأعلى، والاعترافُ بسيادةِ الأميرِ على دولتهِ القبائليَّةِ، ليُعزِّزَ الأمرَ بـ (لا تعرفني)، وهي مؤشِّرُ عدمِ التكافؤ في السلطةِ، إذْ لا احتكاكَ تعامُليًّا

بينهُما، ويُؤكِّدُ قولِي هذا ردُّ الأميرِ لاحِقًا (لِمَا سَمِعْتُهُ عنكُم)، مُستدرِكًا بـ(لكنِّي...) ليُقرِّبَ بينَ شخصهِ والأميرِ في معرفتِهِم اللهَ، و(اللهُ) جلَّ شأنُهُ الوجهةُ الوحيدةُ لاستمالةِ ذوي الأديانِ المُختلفةِ، ولمعرفتهِ من طرفي الخطابِ(المُلقي/المُتلقي)، مُعتذِرًا عن إرسالهِ الرِّسالةَ وعدمِ الحضورِ الشَّخصيِّ بضعفِ قُوَّتِهِ، مُؤجِّجًا روحَ النَّخوةِ العربيَّةِ (أقفُ عند مدخلِ خيمتِك)، داعيًا لهُ. إنَّ تضامُنيَّةَ مونسينيور تكمُنُ في قولِهِ (أخي) الدَّالةِ على أُخوَّةِ الدِّينِ المسيحي والإنسانيَّةِ والانتماءِ للوطنِ/فرنسا.

ليجيء ردُّ الأميرِ برسالةٍ مضمونُها "مونسينيور أنطوان– أدولف ديبوش... لقد بلغني مكتُوبُكَ وفهِمْتُ القصدَ، ولَم يُفاجئني مُطلقًا في سخائهِ وطيبتِهِ لِما سمعتُهُ عنكُم. ومع ذلكَ أعذرني أنْ أسجِّلَ مُلاحظتي... كانَ من واجبِكَ أنْ تطلُبَ مني إطلاقَ سراحِ كُلِّ المساجين المسيحيينَ الذينَ حبسناهُم منذُ عودةِ الحربِ بعدَ فسخِ معاهدةِ تافنة، وليس سجينًا واحِدًا، كائنًا مَنْ يكونُ. وكانَ لفعلِكَ هذا أنْ يزدادَ عظمةً لو مسَّ كذلكَ السُّجناءَ المُسلمينَ الذينَ ينطفئونَ في سجونِكُم. أحب لأخيكَ ما تُحبُّهُ لنفسِكَ "[77].

استُهِلَّتِ الرِّسالةُ باسمِ المُرسَلِ إليهِ كامِلاً (مونسينيور...)، مُتخليًّا بذلكَ عن الألقابِ والكُنى، مُؤشِّرًا تقديرَ المُخاطَبِ، وما يدعمُ ذلكَ، ضمائرُ الخِطابِ المفردةُ في مُجملِ الرِّسالةِ سوى موضعينِ، الأوَّلِ (سمعتُهُ عنكم) تعظيمًا للمخاطَبِ في خِدمةِ اللهِ والإنسانيَّةِ،و(في سجُونِكُم) إشارةً إلى ساسةِ الاحتلالِ الفرنسيِّ،مُختتمًا رسالتهُ بمضمونِ حديثٍ نبويٍّ صحيحٍ،دِقَّتُهُ(لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[78].

والخطابُ المُرسَلُ خبريٌّ تقريريٌّ، في مضامينهِ إقناعٌ غيرُ مُباشِرٍ، أي مُتوارٍ و ذكِيٍّ في الوقتِ نفسِهِ[79]، إذْ اتَّخذَ الأميرُ من طلبِ مونسينيور مدخلاً لطلبِهِ غيرِ المُفصَحِ عنهُ، عَبْرَ تعظيمهِ إنسانيتَهُ، التي تُوجِبُ إطلاقَ الجميع، مُقدِّمًا المسيحيينَ أبناءَ جلدةِ الأخيرِ، مُقرًّا أنَّ الكُلَّ في مُعاناةِ الواحدِ هذا، والإنسانيَّةُ ذاتُها توجبُ إطلاقَ المُسلمينَ أيضًا، إنَّ تضامُنيَّةَ الأميرِ جمعيَّةٌ شَمِلَتِ فئةَ المسجونينَ كافةً، وفيها مُؤشِّرُ سلطتهِ.

– التَّواصُلُ الشَّخصيُّ المحكيُّ: ويُعبَّرُ عنهُ في الرِّوايةِ ما نُقِلَ سماعًا، أو حكايةً أو عَبْرَ المراسلينَ، وسأقِفُ على الأخيرِ تحليلاً للإيجازِ، والمُراسِلُ "مَنْ يقومُ بوظيفةِ توصيلِ

الخطاباتِ والنَّشراتِ"[80]، وفي عُرفِ صحافةِ اليومِ "(جندي مُشاة عالَم الأخبار) لأنَّهُ يضطلعُ بمهمةِ الكتابةِ عن الأحداثِ من مواقِعِها"[81].

والمُراسلُونَ في الرِّوايةِ عُيُونٌ أيضًا من مُهمَّاتِهِم تقصي حركةِ الجيشِ الفرنسيِّ، فالأميرُ ينتظرُ مع خليفتهِ "سحبهُم نحو الخيمةِ...: – يا أميرَ المُؤمنينَ، تريزل الَّذي حلَّ مَحلَّ دوميشال، يطحنُ كُلَّ شيءٍ في طريقِهِ. لَقَدْ أحرَقَ قبائلَ غَرَّابةَ، وبعثرَ محصولاتِها، وسيضطرُّ السُّكَّانُ هذهِ السَّنةَ إلى أنْ يَغِيْرُوا على غيرِهِم أو أنْ تمُدَّهُم بما تستطيعُ. لقدْ أخذَهُم على حينِ غَفْلةٍ....

– وخليفةُ غرَّابةَ ولد خليفة؟ سألَ الأميرُ الرسولَ الثاني.

– لَمْ يُفلِحْ معهُ تريزِل، فقد قالَ لهُ إنِّي تحتَ إمرةِ سيدي...، تريزل يستنهضُ القبائلَ البعيدةَ ضدَّنا.

– مليحةٌ هذهِ. يخترقُونَ الاتفاقيَّاتِ ويتهموننا بالتَّعدِّي. لَنْ أبعثَ أي شيءٍ حتى يعودَ الحاكِمُ العامُّ من سفرتِهِ، واستفسِرُهُ عن الأمرِ"[82].

إنَّ المُعطى اللُّغويَّ (يا أميرَ المؤمنينَ) تضامُنِيٌّ تأدُّبِيٌّ تبجيلِيٌّ رسمِيٌّ، مَساقُهُ الولاءُ لسيادةِ الجزائريِّ، لتليهُ الجملةُ القضويَّةُ الخبريَّةُ التَّقريريَّةُ عن شِدَّةِ وقعِ الاستيلاءِ الفرنسيِّ على (غَرَّابة)، تُمثِّلُها الأفعالُ (يطحنُ/أحرقَ/بعثرَ/أخذَهُم)، وعن واقعِ المجتمعِ القبليِّ (سيضطرُّ السُّكَّان...)، هذا ما أوردَهُ الرسولُ الأوَّلُ الَّذي يُعدُّ سحبهُ نحو الخيمةِ لُغةً إشاريَّةً استفهاميَّةً، وداعيًّا لإجابتهِ.

أمَّا الثاني، فالسؤالُ الموجَّهُ لهُ من الأميرِ تنغيميٌّ، حُذِفَتْ أداتُهُ، فضلاً عن قولِ السارِدِ (سأل)، وأقدِّرهُ بـ(وما موقفُ خليفة...؟)، و(ما) نكرةٌ بمعنى (أيّ شيء)، يُرادُ بها السؤالُ عمَّا يُعقلُ جنسًا ونوعًا وصفةً، وعمَّا لا يُعقلُ ذاتًا وجنسًا وصفةً[83]. وخَصَّ السياقُ صفةً موقفيَّةً للعاقِلِ. وأجدُ حركةً إشاريَّةً من الأميرِ مُغيَّبةً، رُبَّما التفاتةُ رأسٍ أو طَرْفِ عينٍ، يُؤشِّرُها سياقُ التَّعاطِي اللُّغويِّ، لتكونَ مُنطلقًا لاستفهامِهِ آنفًا. وفي إجابةِ الرَّسولِ، نفي (لَمْ يُفلِح...)، ونقلٌ حكائيٌّ (قالَ إنَّهُ...)، وآخرُ وقائعيٌّ (تريزل يستنهضُ...). ليعقبَهُ جوابُ الأميرِ الدَّالُّ على الحكمةِ والاتِّزانِ والمسؤوليَّةِ القياديَّةِ (لَنْ أبعثَ أي شيءٍ ...).

وفي نقلِ الخبرِ "عندما سَمِعَ الخبرَ من أحدِ قُوَّادِهِ أنَّ والدهُ قدِ انطفأ، كانَ ما يزالُ تحتَ وقعِ موقعةِ سهلِ المهرازِ"[84]. فالقائدُ قناةُ نقلِ الخبرِ.

المحورُ الثالثُ: التَّواصُلُ الجمعيُّ أو العامُّ (Group Communication): وهو تواصُلٌ ذو عددٍ أكبرَ من الشخصيِّ الَّذي يلتقي معهُ في جانبِ التَّفاعُلِ بينَ الأعضاءِ المُتواصِلةِ، وتُمثِّلُهُ الخطبةُ والمُحاضرةُ والنَّدوةُ[85]، وينمازُ بمواجهيَّتِهِ المُباشرةِ بينَ المُلقي والمُتلقي، وتعرُّفِ الأوَّلِ على إيجابيَّةِ حديثِهِ أو سلبيتِهِ عَبْرَ الانفعالِ وملامحِ الوجوهِ، وللتَّواصُلِ هذا إعدادٌ مُسبقٌ للموضوعةِ المطروحةِ، والمكانِ والزَّمانِ، رُبَّما يتطلَّبُ في وقتنا الرَّاهنِ تقنيَّةَ توصيلٍ، ولا سيما في الأعدادِ الكبيرةِ، ونودُّ التأشيرَ بوسطيتِهِ بينَ الشَّخصيِّ والجماهيريِّ[86]، ولعلَّ ملامحَهُ في الرِّوايةِ التَّجمعاتُ القاضيةُ بمناقشةِ شؤونِ الدَّولةِ، وشأنِ الأميرِ لأنَّهُ رمزُها عندَ الفرنسيينَ، وأحسبُ أنَّ التَّوجيهاتِ الصادرةَ عن القادةِ إلى الجُندِ عامَّةً هي الأخرى. ولنا تقسيمُ الأمثلةِ المُحلَّلَةِ بحسبِ أعدادِ المُجتمعينَ، بينَ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

– التَّواصُلُ العامُّ ذو الأعدادِ الصغيرةِ (Micro Group): وأرى في جلسةِ الغرفةِ النيابيَّةِ الفرنسيَّةِ تواصُلاً من هذا النوعِ، إذْ حُدِّدَ المكانُ والزمانُ والمُتحدِّثونَ والموضوعةُ المطروحةُ والعددُ المطلوبُ من الشخصيَّاتِ المدعُوَّةِ لتُدلِي بأقوالِها تجاه قضيَّةِ الأميرِ الجزائريِّ "التفتَ نحو الحضورِ وهو يُحاوِلُ أنْ يتفرَّسَ أعينَهُم،...، افتتحَ رئيسُ الغُرفةِ النيابيَّةِ الدَّورةَ الخاصَّةَ: – الجميعُ هنا. يُمكِنُنا أنْ نبدأ هذهِ الدَّورةَ...السيِّد بيلي دو لالوزيير، تفضَّلُوا.

– شكرًا سيديّ الرئيس. تململَ الكثيرونَ في أماكِنِهِم لحظةً وهُم ينظرونَ إلى الأماكِنِ الخلفيَّةِ....

– سيدي الرئيس، لقد أخسرنا الصمتُ الشيءَ الكثيرَ. فهمنا الوضعيَّةَ ولكنِ الآنَ ماذا سنفعلُ؟ هل سنبقى صامتينَ. فرنسا قطعتْ وعدها وعليها أنْ تجِدَ حلًّا، الأمرُ يتعلَّقُ بشرفِ الأمَّةِ والسُّلطانِ. هذا الرجلُ أُعطِي وعدًا مكتُوبًا"[87].

في النصِّ لُغةٌ إشاريَّةٌ جسديَّةٌ تمثَّلَتْ في (التفتَ نحو الحضورِ، وهُم ينظرونَ إلى الأماكِنِ الخلفيَّةِ، وتململَ الكثيرونَ)، فالالتفاتةُ والنَّظرُ إلى الخلفِ يتطلبانِ حركةً رأسيَّةً، والتململُ جسديةً، أمَّا التَّفرُّسُ فحركةٌ بصريَّةٌ في (وهو يُحاوِلُ أنْ يتفرَّسَ أعينَهُم).

وفي قولِهِ (تفضلُوا، وسيدي الرئيسx 2) تأدُّبٌ تبجيليٌّ أشرنا إليهِ مُسبقًا، وفي التَّوجيهيَّةِ الاستفهامُ (ماذا سنفعلُ؟ هل سنبقى صامتينَ)، الَّذي وُظِّفَ بقوَّةٍ مُستلزَمةٍ إرادةَ استنهاضِ الهممِ، واستنكارِ الصمتِ، وكسرِ طوقِهِ. و في السِّياقِ نفسِهِ الأمرُ المعنويُّ بـ (عليها أنْ تجِدَ حلًّا)، والتقديرُ (يجبُ عليها...)، لأنَّ المُتحدِّثَ أدنى سُلطةً، وأرى في قولِ (بيلي) حِجاجًا للحاضرينَ مُدعمًا بوثائقَ، الحِجاجُ هذا مُسبَّبًا ومقدَّرًا بـ (لأنَّ الأمرَ...).

– التَّواصُلُ العامُّ ذو الأعدادِ الكبيرةِ (Big Group): ويُمكِنُنا إدراجُ الاجتماعاتِ التي تُناقِشُ موضوعاتِ الدَّولةِ في المسجدِ ضمنَ التَّواصُلِ هذا، والمسجِدُ "منتدى يتجمَّعُ فيهِ المُريدونَ حولَ القادةِ والمُستنيرِيْنَ، يُبصِّرونَهُم في أمورِ دِينِهِم، ويتناولُون ما تعنيهِم من مسائلِ الساعةِ والأحداثِ الجاريةِ"[88]، فالمكانُ مُحدَّدٌ، والزَّمنُ استثنائيٌّ/الليلُ، والموضوعةُ تأكُّدُ العيونِ والحُرَّاسِ والمُراقبينَ من توجُّهِ الفيالقِ الفرنسيَّةِ إلى مدينةِ (مُعسكر)، مقامِ الأميرِ، لحرقِها وتدميرِها، لذا كانَ اللِّقاءُ "صمتُهُ المُتوالِي حَيَّرَ الجميعَ،...، كانَ يُهيئُ الجميعَ لخبرٍ استثنائيٍّ،.....، لَمْ أعُدْ صالِحًا لقيادةِ هذا السيلِ من البشرِ، وعلى فهمِ نوازِعِهِ وشهواتِهِ. إنَّهُ يتحيَّنُ الوقتَ الَّذي يعُودُ فيهِ إلى الغزوِ والغنائمِ، شعبٌ لا يقفُ إلاَّ مع الواقِفِ، وعندما ينكسِرُ يتخلَّى عنهُ بسخاءٍ كبيرٍ، ويذهبُ باتِّجاهِ المُنتصرِ، كأنَّهُ لا تُوجدُ لديهِ قضيَّةٌ. أنا على حافةِ زمنٍ لَمْ أعُدْ أفهمُهُ جيِّدًا. فقدْ كَبِرْتُ على مبادئ لا شيءَ يقفُ أمامَها إلاَّ الموتُ"[89].

في النصِّ دالٌّ إشاريٌّ الصمتُ الَّذي يُعدُّ "وسيلةً للتَّعبيرِ عن نقلِ الدَّلالةِ النَّفسيَّةِ، والحالةِ التَّعبيريَّةِ التي يعيشُها الصامِتُ حالَ صمتِهِ، سواءٌ كانَ الصمتُ سكوتًا وانقطاعًا مطلقًا عن الحديثِ، أو تعبيرًا عن حالةٍ نفسيَّةٍ مُؤقتةٍ من الدَّهشةِ والغلبةِ، أو كانَ منعًا وحجزًا عن الكلامِ خلالَ موقفٍ ما"[90]، وأرى في صمتِ الأميرِ تهيئةَ ذاتِهِ والمُتلقي إلى قولٍ مُهمٍّ، هو التَّنحي عن السُّلطةِ. مُوظِّفًا إسلوبَ القصرِ في موضعينِ، طبيعةِ المُجتمعِ العربيِّ/ يقفُ مع المُنتصِر، وطبيعتِهِ الشخصيَّةِ/ المبادئُ أو الموتُ.

وأرى فيهِ إرادةَ بيانِ مُتقابلتينِ، الأولى لا بُدَّ من التَّخلي عنها، لمنافاتِها مبدئيةَ الأميرِ والقضيَّةِ المُدافعِ عنها، وما يدعُمُ ذلكَ قولُهُ (كأنَّهُ لا تُوجدُ لديهِ قضيَّةٌ)، و(كأنَّ) هذهِ لها

معانٍ، من بينِها التشبيهُ وهو الغالِبُ عليها، والتَّحقيقُ، والتَّقريبُ، والشَّكُّ أو الظَّنُّ[91]. وأرى في استعمالِها الشَّكَّ المُستنكرَ أو المرفُوضَ، لشعبٍ يجثو عليهِ المُستعمِرُ، ولا يكُنْ هو القضيَّةَ، والثانيةِ أنَّ مَنْ شبَّ على المبدئيةِ شابَ عليها، فلا يُمكِنُ تجاوزُها. قدَّمَ الأميرُ الحججَ والمُبرِّراتِ، وأجدُ فيها تمهيدًا يعقُبُهُ قولٌ تمهيديٌّ طلبيٌّ (فآتُوا بِمَنْ يستطيعُ فهمَهُ).

وضمنَ العددِ الكبيرِ، مقتلُ خليفةِ مدينةِ مليانة، الَّذي أمرَ الحاكِمُ الفرنسيُّ في الجزائرِ بتعليقِ رأسِهِ على بوابةِ المدينةِ "كانَتِ الوجوهُ التي أُجبِرَتْ على التَّجمُّعِ عندَ البوابةِ بارِدةً وتُشبِهُ قِطَعًا حديديَّةً: قائدُكم ماتَ، ومَنْ ناهضَ سُلطانَنا لَنْ تكونَ نهايتُهُ أقلَّ من نهايةِ ابنِ علالٍ. لَنْ يسلَمَ أحدٌ من نارِ سيُوفِنا"[92].

إنَّ دالَّ العدديَّةِ الكبيرةِ الإجبارُ لأهلِ المدينةِ، ودالُّ الإجبارِ الوجوهُ الخاليةُ من الملامحِ/والمُشبهةُ بقطعِ الحديدِ. أهلُ المدينةِ خُوطِبُوا بسياقٍ إثباتيٍّ/إخباريٍّ عن واقعةٍ شَهِدُوها بأنفُسِهِم (قائدكم مات)، ليليهُ خِطابٌ توجيهيٌّ آمرٌ بالانصياعِ لسلطانِ المُستعمِرِ (ومَن ناهضَ...)، مُختتمًا بما هو وعديٌّ/التزاميٌّ (لَنْ يسْلَمَ...)، والفرقُ بينَ التَّوجيهيِّ والوعديِّ أنَّ المُخاطَبَ هو الفاعِلُ في الأوَّلِ، وفي الثانِي المُتكلِّمَ[93].

المحورُ الرابِعُ: التَّواصُلُ الجماهيريُّ (Mass Communication): وهو تواصُلٌ نمَّتْهُ الحياةُ العصريَّةُ، ويُسمَّى الإعلامِيَّ أيضًا، لاعتمادِهِ الوسائلَ المسموعةَ والمرئيةَ والمطبوعةَ، لذا كانَ الثقافيُّ (Inercultural Communication) من ضمنهِ[94]. وهو يحتاجُ إلى حارِسِ بوابةٍ سواءٌ أكانَ بشرًا أم منظمَّةً لمُعالجةِ المعلوماتِ المبثوثةِ، التي لا شكَّ في أنَّها ذاتُ تغذيةٍ مُرتجعةٍ مُؤجَّلةٍ، وليستْ فوريَّةً، وتمتازُ قاعِدَتُهُ الجماهيريَّةُ بالتَّنوُّعِ والمجهوليَّةِ[95]. ولنا تعريفُهُ بأنَّهُ "العمليَّةُ الإعلاميَّةُ التي تبدأ بمعرفةِ الجهاتِ المعنيَّةِ بالنَّشرِ بمعلوماتٍ ذاتِ أهميَّةٍ،...، مراحِلُها: تجميعُ المعلوماتِ من مصادِرِها، ثمَّ نقلُها، والتَّعامُلُ معها وتحريرُها، ثمَّ نشرُها وإطلاقُها"[96].

في الروايةِ التَّصنيفُ الثقافيُّ المُتمثِّلُ بالكُتُبِ المُؤلَّفةِ، والإعلاميُّ المُتمثِّلُ بشخصيتي البرَّاحِ والقوَّالِ، وأراهُما ضمنَ الجماهيريِّ، لكونِهما وسيلتي تواصُلٍ، الأولى فكريَّةٌ مخطوطة، والثانية إخباريَّةٌ مسموعةٌ، وكلاهُما ينقُلُ المعلومةَ خطًّا وشفاهًا، لهُما بوابةُ حِراسَةٍ، وتغذيتهُما المرتجعةُ ليستْ فوريَّةً، ومساحةُ استقبالِهما واسعةٌ، والثانيةُ منهما تعتمدُ

تنقُّلاتِ البرَّاحِ والقوَّالِ في المدينةِ، إذْ تتعدَّدُ النمذجةُ البيئيَّةُ إثرَ ذلكَ، وتختلِفُ الذائقةُ السَّمعيَّةُ .

– التَّصنيفُ الثَّقافيُّ: في الرِّوايةِ مُؤشِّراتٌ سيميائيةٌ لمؤلفاتٍ يلوذُ بها الأميرُ، أرى فيها تأكيدَ ثقافَتِهِ، وتَعضيدَ قولِهِ. ابنُ خلدون بحثَ في مُقدِّمتهِ المُؤلَّفةِ عام (1377م)، أحوالَ النَّاسِ، واختلافَ طبائِعِهِم، والبيئةَ وتأثيرَها فيهم، ولاسيما أنَّهُ جابَ بلادَ المغرِبِ العربيِّ، جاءَ في الرِّوايةِ "مدَّ عبد القادرِ يدهُ إلى مُصنَّفِ المُقدِّمَةِ لابنِ خلدون. المخطوطةُ التي ... جاءتْهُ من بلادِ المغرِبِ من تاجرٍ ورَّاقٍ رآهُ مرَّةً واحدةً عندما دخلَ عليهِ في خيمتِهِ لحظةَ القيلولةِ ووضعها في حِجرِهِ وهو يُردِّدُ: اقرأها وترحَّم عليَّ أو العني إذا لَم تجِدْ فيها ما يَشفِي الغليلَ، ثمَّ انسحبَ ولَمْ يأخُذْ حتى ثمنَها"[97].

رَبَطَتْ تقنيةُ السَّردِ بينَ تشظي المُجتمعِ القبليِّ في مواجهةِ القُوَّةِ الفرنسيَّةِ المُحتلَّةِ ومُقدِّمَةِ ابنِ خلدون. إنَّ استراتيجيَّةَ التَّواصُلِ توجيهيَّةٌ مُتمثِّلةٌ بأفعالِ الأمرِ (اقرأها/تَرَحَّم/العني)، التي تتطلَّبُ سُلطةً على المُرسَلِ إليهِ "إذْ لابُدَّ أنْ تتواكبَ الصيغةُ بسلطةِ المُرسِلِ (الآمِرِ)، وإلاَّ خرجَ الأمرُ عن معناه، وخرجَ عن دَلالتِهِ على قصدِ المُرسِلِ في التَّوجيهِ إلى مقاصِدَ أُخرى"[98]. وأرى سُلطةَ العلمِ والمعرفةِ من الورَّاقِ لهذهِ المخطوطةِ، فهو العارِفُ بقيمتِها المعلوماتيَّةِ لقائدٍ مثلَ عبدِ القادِرِ، وزامنَ بينَ وقتِ تقديمِها (القيلولة) حاجةَ الإنسانِ البيولوجيَّةِ(Biology) للتَّفكُّرِ والتأمُّلِ والرَّاحةِ، وحاجةَ المُقدِّمةِ عندَ قراءتِها للأمورِ ذاتِها. إنَّ وضعَها في حِجرِهِ دالٌّ تبنيها فكرًا لمعرِفةِ دقائِقِها، ومُعالجةِ واقعهِ المُجتمعي في سياقِها.

مُوظِّفًا في تواصُلِهِ الحِجاجَ الشرطيَّ (إذا لَم تجِد...)، الَّذي حُذِفَ جوابُهُ بقرينةٍ سياقيَّةٍ تقديرُها (إذا لَم تجِد... العني)، وهو حِجاجٌ توجيهيٌّ، يكتفي فيهِ المُرسِلُ بحُجَجِهِ، مُنظِّمًا إيَّاها في خِطابِهِ[99] .

ولجأ الأميرُ إلى كتابِ (الإشاراتِ الإلهيَّةِ) لأبي حيَّان التَّوحيدي إثرَ تواصُلٍ شخصيٍّ حجاجيٍّ مع مصطفى بن التُّهاميِّ بشأنِ معركتي السِّلمِ والحربِ"– أراكَ يا سيديِّ مُتشائِمًا وكأنَّنا هُزِمْنَا في حربٍ ربِحْنَاها.

– ربحنا الحربَ ولكنَّهُم أجبرونا على خُسرانِ معركةِ السِّلمِ. لديَّ الإحساسُ كأنَّني دَفَنْتُ عزيزًا غاليًّا على القلبِ. هذا ما لديَّ. القلبُ كانَ ممتلئًا،...، سأرتاحُ مع التَّوحيدي، فيهِ الكثيرُ مِمَّا يُزهِرُ الروحَ المُتعبةَ.

– وهل نُحضِّرُ النَّاسَ لإخلاءِ المدينةِ عندَ الضرورةِ؟

لَمْ يسمعْ سؤالَ مصطفى بن التُّهاميِّ، كانَ قدْ توغَّلَ في عُمقِ البهو المُؤدِّي إلى غُرفةِ نومِهِ، بعيدًا عن كُلِّ شيءٍ، بعدَ أنْ فتحَ كتابَ الإشاراتِ الإلهيَّةِ...، على صفحةِ الغريبِ"[100].

يتمظهرُ التَّأدُّبُ التَّبجيليُّ في (يا سيِّدي)، احترامًا وتعامُلاً رسميًّا، وأرى أنَّ موضُوعةَ الحوارِ حتَّمَتْ ذلكَ، لِما تُوجِبُهُ قرابةُ المُتحاورَيْنِ القائمةَ على العلاقاتِ الاجتماعيَّةِ لكونِ التُّهاميِّ صهرَ الأميرِ، وأجدُ نبرةَ التعجُّبِ في (وكأنَّنا هُزِمْنا ...)، للتخفيفِ عن نفسِ المُخاطَبِ المُمتلِئةِ، متَّخِذًا الحِجاجَ تقنيَّةَ الوصلِ السَّببيِّ، أي الرَّبطِ التَّتابُعي للأحداثِ[101]. وأرى(ربِحنا الحربَ) مُقدِّمةً لخُسرانِ (معركةِ السلمِ)، هذا السِّلْمُ قولَبَهُ تشبيهًا بالإنسانِ العزيزِ وقدْ دُفِنَ (كأنَّني دفنتُ عزيزًا...).

إنَّ راحةَ النَّفسِ المُتعبةِ مع التَّوحيديِّ، فإشاراتُهُ الإلهيةُ مُناجاةٌ أو دُعاءٌ يبتدئُ بهِ الرِّسالةَ ويُنهيها، وما بينهُما أغراضٌ أُخرى أهمُّها شكوى الحالِ والزَّمانِ[102]. وفي مجملِها إرادةُ خلوةِ النَّفسِ مع الذَّاتِ الإلهيَّةِ. وأجدُ في سبيلِ الرَّاحةِ والتَّوغُّلِ عُمقًا في البهو ثمَّ صفحةِ الغريبِ، الغُربةَ بنوعَيْها المعنويِّةِ، فكرِ الأميرِ المدنيِّ في مقابلِ فكرِ مجتمعهِ القبائلي، ومُؤشِّرٌ مُستقبليٌّ لغربتهِ الماديَّةِ، المنفى الفرنسيُّ، والمُرادُ بالأولى الخروجُ على مبادئ المجتمعِ الذي نحيا فيهِ، وتقاليدِهِ وأعرافِهِ، وبالثانيةِ البُعدُ عن الوطنِ والأهلِ[103].

– التَّصنيفُ الإعلاميُّ: ويعتمدُ على شخصيتي البرَّاح والقوَّال، والفرقُ بينهُما في اللَّهجةِ الجزائريَّةِ، أنَّ الأوَّلَ ينقُلُ الأخبارَ المُهمَّةَ بمعيَّةِ طبلٍ، والثاني يُردِّدُ أشعارًا فيها حكمةٌ على الآخرينَ وبإسلوبٍ مُغنَّى ويُسمَّى القايل أو البهلول[104].

وعَرَّفَ الروائيُّ البرَّاحَ بأنَّهُ رجلٌ "يُوقِظُ النَّاسَ من غفوتِهِم لكي يستمِعُوا إلى خبرٍ مُهِمٍّ"[105]، فهو كالمذياعِ في نشرِ الخبرِ، جاءَ في النَّصِّ الروائيِّ "على أطرافِ السوقِ الشعبيَّةِ، كانَ البرَّاحُ يُحذِّرُ النَّاسَ...: يا ديوانَ الصاحينَ، يا ديوان الصالحينَ، الصلاةُ

على النبيِّ مُحمَّدٍ، شيخ البؤس، شيبةُ النَّار، نبتوا لهُ على الراسِ تيجان، قالُوا: سيدي بايع وإلاَّ تخرج، قالَ لهُ: هنا قاعِد، وربي ستَّار. يا ديوان الصاحين، يا ديوان الصالحين، والصلاة على النبي مُحمَّدٍ، في العامِ البارِدِ والماطِر، جانا سيدي عبد القادر، سلاَّك المسكينِ والواحلِ"[106].

إنَّ الخطابَ توجيهيٌّ مُتمثِّلٌ بالنِّداءِ ذي الأداةِ (يا) في (يا ديوان...)، تحفيزًا للمُرسَلِ إليهِ[107]، ضمنَ آليةِ (السَّجعِ القصيرِ)، مُقرِنًا (الصَّحو) بـ (الصَّلاح) في جناسٍ غيرِ تامٍّ، ناقصٍ بحرفِ اللامِ (الصَّاحينَ/الصَّالحِيْنَ)، مُشبِّهًا التِّيجانيَّ بـ (شيبة النَّار)، لِمَا لأطرافِها أو أواخرِها من بياضٍ. موظِّفًا المُبالغةَ (سلَّاك/فَعَّال)، في سياقِ مدحِ مُزامنةِ مسلكهِ نحو (المسكينِ والواحلِ)، والواحِلُ نتيجةٌ لسببٍ مُقدَّمٍ المطر.

وفي النصِّ تخفيفٌ للهمزِ، (الراس، و جانا)، وهو أمرٌ واردٌ في اللَّهجاتِ العربيَّةِ[108]. وما يُرصفُ ضمنَ اللَّهجاتِ (قالُوا) المُؤشِّرةُ شخصَ الأميرِ، وما (الواو) الجمعيَّةُ إلاَّ تعظيمٌ لمكانتهِ، لتُردِفَها بـ (سِيْدِي) المُخفَّفَةِ من (سَيِّدي)، وما يُعزِّزُ القولَ وجهةُ الخطابِ في (قالَ لهُ)، فضلاً عن التَّركيبِ الشَّرطيِّ (بايع وإلاَّ تخرُج)، الدَّالِّ على المكانةِ السُّلطويَّةِ، و(إلاَّ) هذهِ إنِ الشَّرطيَّةُ المُقترِنةُ بـ (لا) النَّافيةِ[109].

ولنا مع القوَّالِ وقفةٌ، فهو العازِفُ على الرَّبابةِ كلماتِهِ العاميَّةَ، والمُرقِّصُ للقردِ، والمُرافقُ ابنتَهُ ذاتَ الصَّوتِ الشَّجيِّ لتُردِّدَ قولَهُ "اشطح. اشطح يا ولد المخازنية، باباك ما هو عربي وأُمُّك ما هي روميَّة؟ ..."[110].

النتائجُ:

– إنَّ الرِّوايةَ المبحوثةَ حدثٌ تاريخيٌّ مُمنتجٌ على واقعِ مُعاناةِ المُجتمعِ العربيِّ اليومِ، وإنسانِهِ المُغرَّبِ ذَاتًا ومُكوِّنًا، وقد ثبَّتَتْهُ مُؤشِّراتُ التَّواصُلِ الثَّقافيِّ بدوالِّ المحنةِ الفكريَّةِ العربيَّةِ، بينَ المدنيَّةِ/ احترامِ الحقِّ الإنسانيِّ، والقبليَّةِ/ سِيادةِ القُوَّةِ والتَّسلُّطِ.

– لا يُمكنُ إخضاعُ السَّردِ الرِّوائيِّ، أيًّا كانَ، إلى التَّقسيمِ بينَ اللُّغويِّ وغيرِ اللُّغويِّ لتداخُلِهما الحتميِّ، وهي نتيجةُ ولعي الاستقرائي لهذا النَّمطِ السَّرديِّ.

– إخضاعُ الرواياتِ لمثلِ هذهِ الدِّراساتِ، ولاسيما التاريخيَّةِ منها، تأرخةٌ لآلياتِ التَّواصُلِ العامِّ أو الجماهيريِّ ومنهُ الثَّقافيُّ، فالرِّوايةُ المبحوثةُ وثَّقَت قنواتِ التَّواصُلِ الجماهيريِّ،

زمنِ الأميرِ عبد القادرِ الجزائريِّ المولودِ عام (1222هـ- 1807م)، والمُتوفَّى عام (1300هـ- 1882م)، والمُقتصِرَةُ على المخطوطِ ثقافيًّا، والبرَّاح أو القوَّالِ إعلاميًّا.

- غُلِّبَتِ استراتيجيَّةُ الخطابِ التَّضامُنيِّ في السِّياقِ التَّواصُليِّ لأمرينِ، إمَّا إنسانيًّا أو عسكريًّا، فضلاً عن التَّوجيهيَّةِ بنوعيها السُّلطويِّ والمعرفيِّ، ومبدأي التَّأدُّبِ الإيجابيِّ تضامُنيًّا أو تبجيليًّا، والتَّعاونِ.

- في الروايةِ حِجاجٌ توجيهيٌّ يهدِفُ إلى إقناعِ الطَّرفِ الآخرِ المُحاوَرِ بقضيَّةٍ وطنيَّةٍ.

هوامش:

[1] (كتابُ الأمير..مسالِكُ أبوابِ الحديدِ)، روايةٌ للروائيِّ الجزائريِّ واسيني الأعرج، المولودِ في إحدى ضواحِي مدينةِ تلمسان،عام(1954م)، استشهدَ والدهُ في ثورةِ الجزائرِ التحريريَّةِ عام (1959م)، انتقلَ مع عائلتهِ إلى مدينةِ تلمسان عام (1968م)، تلَّقى تعليمهُ الأولي في الجزائر، والعالِي في سوريَّة، بجامعةِ دمشق، عَمِلَ أُستاذًا للمناهجِ والأدبِ الحديثِ في جامعةِ الجزائرِ المركزيَّةِ عام (1985م)، غادرَ الوطنَ عام (1994م) إثرَ عصفِ العنفِ والإرهابِ فيهِ، متجهًا إلى فرنسا أُستاذًا في جامعةِ السوربون. موقعُ الانترنت: www.adab.com ، الموسوعة العالميَّة للشِّعرِ العربيِّ، بتاريخ 30/ 8/ 2017م.

[2] يُنظر: مادة (وَصَلَ)، ابنُ فارس، أبو الحسين أحمد (ت 395هـ)، (1429هـ- 2008م)، مقاييس اللُّغة، عُني به: د.مُحمَّد عوض مُرعب، والآنسة فاطِمة مُحمَّد أصلان، بيروت، دار إحياء التُّراث، و ابن منظور، الفضل جمال الدِّين (ت 711هـ)، (1997م)، لسان العرب، لبنان، دار صادر للطباعةِ والنَّشرِ.

[3] يُنظرُ: سيبويه، عمرو بن عثمان، (ت 180هـ)، (1420هـ- 1999م)، الكتاب، علَّقَ عليهِ ووضعَ حواشيهُ وفهارسهُ: د.إميل بديع يعقوب، بيروت، دار الكتب العلميَّة، 4/ 180، 181.

[4] يُنظرُ: الشَّمسان، أبو أوس إبراهيم، (1407هـ- 1987م)، أبنية الفعل..دلالاتُها وعلاقاتُها، جدَّة، دار المدني، 36، و د.الراجحي، عبده، (1420هـ- 2000م)، التَّطبيق الصَّرفي، مصر، دار المعرفة الجامعية، 36.

[5] التغذيةُ الراجعةُ أو الاسترجاعيَّةُ أو العكسيَّةُ، هي التفاعُلُ بينَ المُتحدثينَ، سواءٌ أكانُوا مُستمعينَ أم مُشاركينَ، ما يدفعُ إلى التواصُلِ، أو تعديلِ استراتيجيتهِ بمقصديةِ الاستمرار. يُنظرُ: دة.محمود، منال طلعت، (2001– 2002م)، مدخل إلى علم الاتِّصال، مصر، جامعة الإسكندريَّة، 74.

[6] يُنظر: د.إسماعيل، محمود حسن، (2003م)، مبادئ علم الاتِّصال ونظريَّات التَّأثير، مصر، الدَّار العالميَّة للنشرِ والتَّوزيع، 26– 30.

[7] يُنظـرُ: د.علـوش، سـعيد، (1405هـ– 1985م)، معجـم المصـطلحات الأدبيَّـة المُعاصِـرة، بيـروت، دار الكتـاب اللبنـانيّ، 229، و د. عبـد الكـافي، إسـماعيل عبـد الفتَّـاح، (د.ت.)، معجم مصطلحات عصر العولمة، موقع كتب عربيَّة (WWW.Kotobarabia.com)، 18.

[8] يُنظر: أوستن، جون، (1991م)، نظريَّة أفعالِ الكلام العامَّة، ترجمة: عبد القادر قينيني، المغرب، دار أفريقيا الشرق، 117.

[9] د.المعتوق، أحمد، (1996م)، الحصيلة اللُّغويَّة..أهميتُها، مصادرُها، وسائلُ تنميتِها، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، 71.

[10] يُنظر: د.إسماعيل، مرجع سابق، 94.

[11] يُنظر: دة.محمود، مرجع سابق، 29، و د.إسماعيل، مرجع سابق، 88– 92، ود. أبو العلا، مُحمَّد علي، (2013م)، فن الاتِّصال بالجماهير بين النَّظريَّة والتَّطبيق، مصر، دار العلم والإيمان، 37، ود. سيِّد، أُسامة محمَّد، و د.الجمل، عبَّاس حلمي، (2014م)، الاتِّصال التَّربوي.. رؤية معاصرة، مصر، دار العلم والإيمان، 38– 40.

[12] يُنظر: المصلح، حنان عبد الله،(1437هـ– 1436م)، لُغة الإشارة في صحيح مسلم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيَّة السعوديَّة، 156، 158، 159–160، 161.

[13] يُنظر: المرجعُ نفسُه، 62 .

[14] يُنظر: مولز، أ.، زيلتمان، ك.، أوريكيوني، ك.،(2014م)، في التَّداوليَّة المُعاصرة والتَّواصُل، ترجمة وتعليق: د. محمَّد نظيف، المغرب، أفريقيا الشرق، 12.

[15] يُنظر: بنكراد، سعيد، (2004م)، استراتيجيات التَّواصُل من اللَّفظ إلى الإيماءة، مجلة علامات الثقافيَّة، المغرب، العدد (21)، 3– 18.

[16] يُنظر: د.إسماعيل، مرجع سابق، 80– 83، و د. أبو العلا، مرجع سابق، 20– 34.

[17] يُنظر: ثاولس، روبرت.هـ، (1979م)، التَّفكير المُستقيم والتَّفكير الأعوج، ترجمة: حسن سعيد الكرمي، مراجعة: صدقي عبد الله حطَّاب، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 11.

[18] يُنظرُ: د.إسماعيل، مرجع سابق، 73- 74.

[19] يُنظر: وهبة، مجدي، و المهندس، كامل، (1984م)، معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغةِ والأدبِ، لبنان، مكتبة لبنان، 110.

[20] يُنظر: د.علوش، مرجع سابق، 198.

[21] يُنظر: بروتون، فيليب، وجوتييه، جيل، 1432هـ- 2011م، تاريخ نظريَّات الحِجاج، ترجمة: د.محمد صالح ناجي الغامدي، المملكة العربية السعودية، مركز النَّشر- جامعة الملك عبد العزيز، 44.

[22] بريور، ماري نوال غاري، (2007م)، المصطلحات المفاتيح في اللِّسانيَّات، ترجمة: عبد القادر فهيم الشيباني، الجزائر، (د.م)، 48.

[23] ما نفريد، يان، (1431هـ- 2011م)، علم السرد..مدخل إلى نظريَّة السرد، ترجمة: أماني أبو رحمة، دمشق، دار نينوى، 115.

[24] الأعرج، واسيني، (2008م)، كتاب الأمير..مسالك أبواب الحديد، ط 2، بيروت، دار الآداب، 114.

[25] الدَّهريّ، أَمينة، (1432هـ- 2011م)، الحِجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المغرب، مكتبة المدارس، 154.

[26] د.صولة،عبد الله، (2011م)، في نظريَّة الحِجاج، تونس، مسكيلياني للنشر والتَّوزيع، 81.

[27] يُنظر: الأنصاري، جمال الدِّين بن هشام (ت761هـ)، (د.ت.)، مغني اللَّبيب عن كُتُبِ الأعاريب، طهران، مؤسسة الصادق، 1/ 463.

[28] الكيميوحيوي (Biochemistry): هي النسبةُ من الكيمياء الحيويَّةِ، وهي فرعٌ من العلومِ الطبيعيَّةِ، وتُعنى بدراسةِ التركيبِ الكيميائيِّ لأجزاءِ الخليَّةِ، ولمختلفِ الكائناتِ الحيَّةِ الدَّقيقةِ (بكتريا، وفطريات، وطحالب)، أو الراقيَّةِ (الإنسان، والحيوان، والنبات). موقع الانترنت: ar.wikipedia.org، موسوعة ويكبيديا، بتاريخ 30/ 8/ 2017م.

[29] د. حمدان، محمَّد زياد، (1406هـ- 1986م)، الدِّماغ والإدراك والذَّكاء، الأردن، دار التَّربيَّة الحديثة، 28.

[30] يُنظر: د.حسَّان، تمَّام، (1990م)، مناهج البحث في اللُّغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريَّة، 165- 167.

[31] الأعرج، مصدر سابق، 181- 182.

[32] يُنظر: الكفوي، أبو البقاء (ت 1094م)، (1419هـ- 1998م)، الكُلِّيَّات، مقابلة: د.عدنان درويش ومُحمَّد المصري، ط 2، بيروت، مؤسسة الرِّسالة، 341.

[33] يُنظر: برنس، دون.و، هوب، مايكل.هـ، (1430هـ- 2009م)، التَّواصل عَبْرَ الثقافات، ترجمة: شكري مُجاهد، العبيكان، المملكة العربيَّة السعوديَّة، 25.

[34] يُنظرُ: مندلاو، أ.أ.، (1997م)، الزمن والرواية، ترجمة: بكر عبَّاس، مراجعة: إحسان عبَّاس، بيروت، دار صادر، 251.

[35] يُنظر:الأعرج، مصدر سابق، 13، 418.

[36] المصدر نفسُه، 16.

[37] د. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، (1436هـ- 2015م)، استراتيجيَّات الخطاب.. مقاربة لغويَّة تداوليَّة، ط 2، الأردن، دار كنوز المعرفة، 2/ 8.

[38] يُنظر:الأعرج، مصدر سابق، 11.

[39] يُنظر:سيبويه، مرجع سابق، 2/ 212.

[40] يُنظر: الجرجاني، عبد القاهر (ت471 أو 474هـ)، (1413هـ- 1992م)، دلائل الإعجاز، قرأهُ وعلَّقَ عليه: محمود محمّد شاكر، ط 3، مصر، مطبعة المدني، 107.

[41] Freed، 1994م، 622- 624، نقلاً عن د.الشهريِّ، مرجع سابق، 2/ 117.

[42] يُنظر: د.عمر، أحمد مختار، (1997م)، اللُّغة واللون، ط 2، القاهرة، عالم الكتب، 210.

[43] يُنظر: المرجع نفسُهُ، 190.

[44] الكفوي، مرجع سابق، 341.

[45] يُنظر: د.السامرائي، فاضل صالح، (1423هـ- 2003م)، معاني النحو، ط 2، الأردن، دار الفكر، 4/ 118.

[46] يُنظر: د.حسَّان، مرجع سابق، 163.

[47] الأعرج، مصدر سابق، 42.

[48] يُنظرُ: د.المتوكِّل، أحمد، (2001م)، قضايا اللُّغة العربيَّة في اللِّسانيَّاتِ الوظيفيَّة، المغرب، دار الأمان، 139.

[49] يُنظر: الزناد، الأزهر، (1993م)، نسيج النَّص، بيروت، المركز الثقافي العربي، 117.

[50] يُنظر: إبراهيم، عبدالله، والغانمي، سعيد، و علي، عواد، (1996م)، معرفة الآخر، ط 2، المغرب، المركز الثقافي العربي، 84- 86.

[51] د.إسماعيل، مرجع سابق، 75، و خبراء المجموعة العربيَّة للتَّدريب والنَّشر،(2012م)، الاتِّصال اللَّفظي وغير اللَّفظي، الإشراف العلمي: محمود عبد الفتَّاح رضوان، مصر، نشر المجموعة العربيَّة للتَّدريب والنَّشر، 26.

[52] يُنظر:(Nancy& Ernest ،1986م، نقلاً عن، العيفة، جمال،(2006- 2007م)، الاتِّصال الشخصي ودورهُ في العمل السياسي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة (بن يوسف بن خُدَّة)، الجزائر، 57.

[53] يُنظر: د.إسماعيل، مرجع سابق، 76.

[54] يُنظر: شحرور، ليلى، 1430هـ- 2009م، فن التَّواصل والإقناع، بيروت، الدَّار العربيَّة، 121.

[55] يُنظر: العمري، محمّد، 2002م، دائرة الحوار ومزالق العنف، المغرب، أفريقيا الشرق، 9، و د.صليبا، جميل، (1414هـ- 1994م)، المعجم الفلسفي، بيروت، الشركة العالميَّة للكتاب، 2/ 426.

[56] الأعرج، مصدر سابق، 12.

[57] يُنظر: د. الشهري، مرجع سابق، 115.

[58] الأعرج، مصدر سابق، 11.

[59] د. المُتوكِّل، أحمد، (1431هـ- 2010م)، الخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة.. دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الجزائر، منشورات الاختلاف، 255.

[60] مبدأ التَّعاونِ (Co-operative principle)، قائمٌ على أربعةٍ، هي: (الكم Quantity، والكيف Quality، والمُناسبة Relevance، والطريقة Manner)، وقد عرَّفنا في متنِ البحثِ مبدأي (الكيف والمُناسبة) لحاجةِ السِّياقِ التَّحليليِّ لهما، ونُوردُ في الهامشِ مبدأي الكم (Quantity)، وهو الإسهامُ في الحوارِ بالقدرِ المطلوبِ، من دونِ زيادةٍ ولا نقصٍ. والطريقة (Manner) الوضوحُ في الكلامِ وتجنُّبُ اللبسِ والغموضِ، واعتمادُ الايجازِ وترتيبِ الكلامِ. يُنظر: د. نحلة، محمود أحمد، (2002م)، آفاق جديدة في البحث اللُّغوي المُعاصر، مصر، دار المعرفة الجامعية، 33- 35.

[61] المرجع نفسُه، 34.

[62] يُنظر: د. المُتوكِّل، (1431هـ- 2010م)، مرجع سابق، 252.

[63] يُنظر: الأعرج، مصدر سابق، 489.

[64] المصدرُ نفسُهُ، 329- 330.

[65] شارودو، باتريك،(2009م)، الحِجاج بين النَّظريَّة والإسلوب، ترجمة: د.أحمد الودرني، بيروت، دار الكتاب الجديد المُتحدة، 16.

[66] يُنظر: د. صولة، مرجع سابق، 15.

[67] يُنظر:د.نهر، هادي، (1978م)، التَّعليل في اللغة العربية، مجلة آداب المستنصريَّة، الجامعة المستنصرية، العدد (15)،317- 348.

[68] يُنظر: د.السامرائي، مرجع سابق، 1/ 282.

[69] قانونُ الخفضِ: إنَّ صدقَ القولِ في مرتبةٍ ما، يدفعُ لصدقِ نقيضهِ في مرتبةٍ تحتَهُ. وقانون تبديل السُّلَّمِ: إنْ كانَ القولُ دليلاً على مدلولٍ مُعينٍ، فنقيضهُ دليلٌ على نقيضِ مدلولِ القولِ. وقانون القلب: إنْ كانَ نقيضُ أحد القولينِ أقوى من الآخرِ في التَّدليلِ على مدلولٍ معينٍ، فإنَّ نقيضَ الثاني أقوى من نقيضِ الأوَّلِ للدَّلالةِ على نقيضِ المدلولِ. يُنظر: د. عبد الرحمن، طه، (1998م)، اللِّسان والميزان أو التَّكوثر العقلي، المغرب، المركز الثقافي العربي، 277- 278.

[70] يُنظر: د. المُتوكِّل، (1431هـ- 2010م)، مرجع سابق، 51.

[71] يُنظر: الأنصاري، مرجع سابق، 1/ 19.

[72] د. الشهري، مرجع سابق، 278.

[73] وهبة، و المهندس، مرجع سابق، 177.

[74] الأعرج، مصدر سابق، 55.

[75]القُوَّةُ الإنجازيَّة (Illocutionary Force)، هي نتاجُ الثنائيةِ المُفترضةِ للدَّرسِ اللِّسانِيِّ الحديثِ، الفعلِ اللُّغويِّ المُباشِرِ وغيرِ المُباشِرِ، فمنَ المُباشِرِ القُوَّةُ الأصليَّةُ المُوافقةُ أو المُطابقةُ للنَّمطِ الجُمليِّ، و من غيرِ المُباشِرِ المُستلزَمةُ غيرُ المُطابقةِ للنَّمطِ الجُمليِّ، وتكونُ إمَّا مُستلزَمة مقاليًّا أو مقاميًّا. يُنظر: د. المُتوكِّل، أحمد، (2010م)، اللسانيَّات الوظيفيَّة.. مدخل نظري، ط 2، بيروت، دار الكتاب الجديد المُتحدة، 50، 51.

[76] يُنظر: مدور، محمّد، 1434- 1435هـ- 2013- 2014م، الأفعال الكلاميَّة في القرآن الكريم (سورة البقرة)..دراسة دلاليَّة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللُّغات، جامعة الحاج لخضر- باتنة/ الجزائر، 61.

[77] الأعرج، مصدر سابق، 56.

[78] البخاري، أبو عبد الله(ت 256ه)، (د.ت.)،صحيح البخاري، بيروت،دار صادر، 14.

[79] يُنظر: د. سيِّد، و د.الجمل، مرجع سابق، 119.

[80] د. عمر، أحمد مختار، (1429هـ- 2008م)، معجم اللُّغة العربيَّة المُعاصرة، القاهرة، عالم الكُتُب، 889.

[81] د. جواد، عبد الستار، (1422هـ- 2001م)، فن كتابة الأخبار، ط 2، الأردن، دار مجدلاوي، 19.

[82] الأعرج، مصدر سابق، 315.

[83] يُنظر: الزركشي، بدر الدِّين (ت794ه)، (1428هـ- 2007م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميَّة، 896.

[84] الأعرج، مصدر سابق، 132- 133.

[85] يُنظر: د. أبو العلا، مرجع سابق، 34.

[86] يُنظر: د.إسماعيل، مرجع سابق، 78.

[87] الأعرج، مصدر سابق، 30- 31.

[88] العيفة، جمال، مرجع سابق، 101.

[89] الأعرج، مصدر سابق، 176، 178.

[90] المصلح، مرجع سابق، 62.

[91] يُنظر: الأنصاري، ، مرجع سابق، 253/1- 254.

[92] الأعرج،مصدر سابق، 362.

[93] يُنظر: ود.فاخوري، عادل، (2013م)، محاضرات في فلسفة اللُّغة، بيروت، دار الكتاب الجديد المُتحدة ، 120.

[94] يُنظر: د.إسماعيل، مرجع سابق، 79، 80.

[95] يُنظر: د. أبو العلا، مرجع سابق،28- 29.

[96] خبراء المجموعة العربيَّة للتَّدريب والنَّشر، مرجع سابق، 65.

[97] الأعرج، مصدر سابق، 74.

[98] د.الشهري، مرجع سابق، 103.

[99] المصدر نفسُهُ، 250.

[100] الأعرج، مصدر سابق،168- 169.

[101] يُنظر: د.الشهري، مرجع سابق،261.

[102] يُنظر: التَّوحيدي، أبو حيَّان (ت 414هـ)، (1402هـ- 1982م)، الإشارات الإلهيَّة، تحقيق: د. وداد القاضي، ط2، بيروت، دار الثقافة، 12.

[103] يُنظر: الخشروم، عبد الرزاق،(1982م)، الغربة في الشعر الجاهلي، دمشق، منشورات اتِّحاد الكُتَّاب العرب، 14.

[104] حوارٌ عَبْرَ موقعِ التَّواصُلِ الاجتماعيِّ مع رئيسةِ تحريرِ المجلةِ الثقافيَّةِ الجزائريَّةِ ياسمين بن مسعود بن عُمر، بتاريخ الثلاثاء 10/ 1/ 2017م.

[105] الأعرج، مصدر سابق، 77.

[106] المصدر نفسه، 290- 291 .

[107] يُنظر: د.الشهري، مرجع سابق، 125.

[108] سيبويه، مرجع سابق، 4/ 24.

[109] يُنظر: الأنصاريُّ، مرجع سابق، 1 / 33.

[110] الأعرج، مصدر سابق، 80.